الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والادب العربي

مذكرة بعنوان:

البعد الاجتماعي في رواية "من يستأجر لي وطنا " للطاهر مرابعي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

إعداد الطالبات:

- إيمان عياشي عمر
- ثريا فريجات
- ريان خميدة
- عصماء بوزقاق

إشراف الأستاذة:

ثورية برجوح

السنة الجامعية: 1445-1446هـ/2023-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

من قال أنا لها "نالها".

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون،

لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات،

لكني فعلتها ونلتها.

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الذي بفضله ها أنا اليوم أنظر إلى حلما طال انتظاره وقد أصبح واقعا أفتخر به.

إلى ملاكي الطاهر، وقوتي بعد الله، داعمتي الأولى والأبدية "أمي" أهديك هذا الإنجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لأن الله قد اصطفاك لي من البشر أما يا خير سند وعوض.

إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل "أبي". إلى من قيل فيهم [سنشد عضدك بأخيك] وإلى كل من عمل معي بكد من أجل إتمام هذا العمل وخاصة الأستاذة: هامل رتيبة، وإلى صديقاتي ورفيقات دربي...إلى جميع أساتذة قسمي وإلى جميع زملائي في القسم وإلى كل من يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني.

إيمان ثريا ريان عصماء

.

الشكر العرفان :

قال تعالى: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " سورة ابراهيم الآية 07

فالشكر الأول والأخير لله العلي العظيم، من لم يشكر العباد لم يشكر الله .

أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان وسمو الامتنان للأستاذة المشرفة: ثورية بورجوح.

وعملا بقوله عليه أزكى "الصلاة والسلام" "من استعانتكم بالله فأعينوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع إليكم معروف فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فاعدوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" . فاللهم أجزها الجزاء الحسن وأحسن أعمالها ووفقها إلى ما تحبه وترضاه، وزدها علما على علم.

إلى من أسهموا في مشوارنا الدراسي أساتذتنا الأعزاء حفظهم الله وإلى جميع الأصدقاء والزملاء الذين ما بخلوا بنصائحهم وتشجيعاتهم الدائمة والمتكررة.

مقدمة

تعتبر الرواية الجزائرية من أكثر الروايات في العالم العربي تركيزًا على الواقع بكل تفاصيله، المبهج منها والأليم، الجليّ منها والخفي المستتر، ومازال الروائي الجزائري حاضنًا للمجتمع بين أسطره، شارِحًا للإنسان وملّمًّا بظروفه النفسية والاجتماعية، حتى لكأن الرواية الجزائرية هي الجزائريّ في سطور، بعقليّته وروحه وثقافته واهتماماته وأحلامه، تصل إلى عمقه وتطابق سقف توقعاته وطموحاته، تطبطب عليه، ببساطة، تشرحه!

وها نحن، نسلط الضوء في مذكرتنا هذه على واحدةٍ من الأعمال الروائية الجزائرية الواقعية وندرس فيها الاتجاه الاجتماعي عن طريق تحليلنا لها ولشخصياتها الرئيسية. وبحسب جهودنا المحدودة في الاطلاع، فقد تم التطرق لهاته الرواية من قبل الدكتور "مراد سركاستي" الذي سلط عليها الضوء من جانب مختلف، حيث وسمت الدراسة المنسوبة إليه بعنوان " تمثيلات الوطن في رواية من يستأجر لي وطنا للطاهر مرابعي"، تناول فيها الدارس المكونات السردية للرواية وركز بشدة على تجلي صورة الوطن فيها، أما عنّا فقد ارتأينا أن ندرس فيها البعد الاجتماعي، كون رواية الطاهر مرابعي تنهض من الأساس على الجوانب الواقعية، ومنه فإن أهم الأسباب التي اخترنا لأجلها موضوعنا هذا هي كونه موضوعًا مهمشًا على صعيد الدراسات المحدودة التي تناولت اتجاهات العمل الموسوم بـ "من يستأجر لي وطنا"، بالإضافة إلى رغبتنا في الاطلاع على الرواية الجزائرية وقضاياها التي تطرحها، لهذا كان عنوان مذكرتنا "البعد الاجتماعي في رواية من يستأجر لي وطنا للطاهر مرابعي ".

تقوم دراستنا هاته على إشكالية رئيسة، صغناها كالآتي:

ماهي تجليات البعد الاجتماعي في رواية الطاهر مرابعي؟ وكيف تناولته الرواية كبعد هام ومؤثر في كل واحدة من شخصياتها الرئيسية؟

سطرنا للإجابة عن هاته الإشكالية خطةً مصدّرةً بمقدمة ومذيّلة بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا، يتوسّطهما مدخل نظري عنونناه بـ :"حضور

البعد الاجتماعي في الرواية الجزائرية "، وفصل إجرائي وسميناه بـ : " تمظهرات البعد الاجتماعي في رواية من يستأجر لي وطنا"، سلطنا فيه الضوء على الأبعاد الاجتماعية للشخوص السردية المتنوعة، كما تناولنا تيمة الهجرة والاغتراب من خلال الشخصية الرئيسة، ثم بيننا الحضور الأنثوي في الرواية من خلال الهجنة والجغرافيا والمعتقد وإشكالية الاتصال والانفصال، وعرّجنا بعد ذلك إلى تبيان توسّط الذات المغتربة بين المعطى المادي والعوز العاطفي وأنهينا الفصل التطبيقي بمقابلة الأسرة بين الفضاء الأصلي والفضاء المغترب إليه.

اعتمدنا في دراستنا هاته على آلية الوصف والتحليل مستأنسين بمقولات التحليل النفسي.

كما استندنا على مراجع عديدة ومتنوعة، إلا أن أهمها:

- تمثيلات الوطن في رواية من يستأجر لي وطنًا للطاهر مرابعي، مراد سركاستي.
- الاتجاه السيميائي في النقد الأدبي المعاصر، أ. إدريس سامية.
- أدهم الشرقاوي وقس بن ساعدة، عن وطن من لحم ودم.
- حميد الحمداني، الرواية المغاربية ورؤية الواقع الاجتماعي.

واجهتنا بعض الصعوبات التي تجلت في قلة المراجع فيما يتعلق بالرواية في حد ذاتها، تراكم البحوث العلمية، ضيق الوقت وبعد المسافة بين أفراد المجموعة.

وفي الأخير، نوجه شكرا جزيلا للمشرفة، أستاذتنا الفاضلة " بورجوح ثورية" لتوجيهها المستمر ومجهوداتها الجبارة خلال فترة إنجاز المذكرة.

الوادي في: 26 ماي 2024.

الطالبات: إيمان عياشي عمر، ثريا فريجات، ريان خميدة، عصماء بوزقاق.

مدخل نظري:

حضور البعد الاجتماعي

في الرواية الجزائرية

البعد الاجتماعي في الرواية الجزائرية:

إن ارتباط الرواية بالحياة والمجتمع جعلها ذات طابع اجتماعي، فقد كانت قضايا المجتمع الجزائري بمثابة الركيزة الأساسية التي يعول عليها الروائي في عمله الإبداعي. لقد كشفت التجربة الروائية الجزائرية عن تنوع كبير في أنماط السرد وتقنيات الكتابة وأشكال التعبير والتنوع يعكس تعدد الأجوبة ويعرف المجتمع بأنه مجتمع ثابت ومنظم من الأشخاص من نوع واحد، تقوم بينهم علاقات متبادلة والإنسان هو جوهر العملية الإبداعية، وما دراسة الأدب من منظور الأدب، إلا بحثا عما ينفع الانسان، كما يعالج هذا الموضوع الأبعاد الاجتماعية في الرواية الجزائرية حيث ظهرت الأبعاد الاجتماعية في الفكر الأدبي الجزائري حتى قبل إن تنتهي الحرب العالمية الأولى كأنما كانت بدايات تمهد النفوس تمهيدا مباشر إلى جانب الأنواع الأدبية الأخرى ويتناول الخطاب الروائي الجزائري قضايا وانشغالات المجتمع في مختلف تحولاته كما يستدعي المصادر الثقافية، وأثرها على الحركة الأدبية الجزائرية والتجليات الاجتماعية في الرواية الجزائرية، الذي جعلها ذات طبيعة خاصة مركبة من أشخاص وأفعال وأقوال وأفكار، ونسق مركب من الأحداث تجري في المجتمع كما تعبر تعبيرا دقيقا وصادقا عن واقع صراع الإنسان، حيث تطورت الرواية حسب تطور المجتمع وهذا الأخير مليء بالعديد من القضايا التي صاغها الأدباء على شكل روايات تحاكي الواقع الملموس[1]، ومن بينها رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة التي حاول فيها براز الواقع المعاش بعد الثورة الجزائرية، ومعالجة موضوع مهم وهو الأرض والمرأة بصورة خاصة، وسعي المرأة لكسر قيود المجتمع، إذ برزت فيها ثنائية القرية والمدينة،[2] حيث كانت ولازالت المرأة في مجتمعنا العربي عامة والجزائري خاصة محكومة بصورة نمطية سواء من حيث الوصف أو من حيث الوظيفة التي تؤديها في المجتمع. وهذه صورة تظهر من خلال التمايز بين الجنسين المستمد من المخزون الاجتماعي والثقافي، حيث يحتل الرجل في المجتمع

[1] –(بتصرف): صالح مفقود، نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل، مجلة أبحاث في اللغة والأدب العربي، ص: 15.

[2] –(بتصرف): شنان قويدر، البعد الاجتماعي في مدونة عبد الحميد بن هدوقة، الملتقى الوطني الأول حول: النقد الأدبي الجزائري، 21،22، ماي، 2006، ص: 480.

العربي مكانة عالية تسمح له بالهيمنة على هذه المرأة الضعيفة والناقصة عقل ودين. وهذه الممارسات غذتها ذاكرة تاريخية تحيط بها أوهام وتصورات ترسخت في الذاكرة الجمعية، بعضها يتعلق بتفسيرات دينية جاءت مشوهة أو بعيدة عن المعنى الحقيقي، وبعضها تعلقت بظروف سياسية أو اجتماعية لازالت راسخة في المخيال العربي شعرا أو نثرا.[1] وعلى هذا الأساس فإن المرأة قد أصبحت بمثابة رمز فني، يحمل العديد من المعاني والدلالات، ولهذا اهتم بها الشعراء والروائيون في روايتهم، وقد عبروا عنها في صور عدة في أعمالهم، لأن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى تمثل دلالة ورمزا ثريا موحيا عن الوطن، حيث تجسدت صورتها من خلال عاداتها التي تربت عليها، أو ما تشعر به أو ما عايشته.[2]

كذلك رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب والتي وصف فيها الصراع بين الطبقات المجتمعية من المعمرين والسكان الأصليين. ولقد صارت شخصيات هذا العمل أكثر وعيا بمصيرها ومطالبها التي تتعدى الحصول على الخبز بل هو الوطن المغتصب[3]، وتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب، ووصف أحوالهم المعيشية القاسية، ومعاناتهم من الجوع والفقر والقهر، ولأول مرة تحدث عن النضال السياسي الجزائري، وعن مناضلين يعيشون في الخفاء، ومطاردين من قبل البوليس الاستعماري، حيث صور محمد ديب حالة المجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية تصويرا حقيقيا، فقد استطاع بحنكته الروائية، وبشعوره الوطني الصادق أن ينقل لنا حياة أناس من العامة، الفقراء وعاداتهم ومتاعب السعي اليومية وراء الرزق. فقد كانت هذه الانطلاقة تبشر بـ بداية الوعي القومي والشعور بالكرامة، وفترة التهيئة النفسية للمعركة القادمة، معركة حاسمة لنيل الحرية والاستقلال.[4]

---

[1] –عباسية بن سعيد، صورة المرأة في المجتمع الجزائري بين الموروث الديني والشعر الشعب دراسة سوسيو دينية، جملة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 18، العدد 02، 2022/06/05، ص: 838.

[2] – رشيد بوشعيرة، المرأة في أدب توفيق الحكيم، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص: 54.

[3]– عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 08.

[4] – إيمان العامري، صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، جدلية المركز والهامش، ضمن مجلة البحوث والدارسات الإنسانية، جامعة سكيكدة، ع 10، 2015، ص: 182.

وبعد الاستقلال وجد الجزائريون أنفسهم بعيدين عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والثقافية، حيث عملت السياسة الفرنسية على استنزاف ثروات البلاد، وطمس الهوية الوطنية والنظام الاجتماعي للسكان الأصليين، وبلغ مجموع السكان الفرنسيين في الجزائر في تلك المرحلة ما يقرب من مليون ساكن، واستولى معظمهم على الأراضي الخصبة، فانتشر الفقر على نطاق واسع، حيث أصبح يمثل التحدي الرئيسي الذي يواجه الجهود الإنمائية. حيث يكون الفقر مصحوبا في أحيان كثيرة، بالبطالة وسوء التغذية والأمية وتدني مركز المرأة، والتعرض للمخاطر البيئية، ومحدودية الوصول إلى الخدمات الاجتماعية والصحية. وهذه العوامل جميعها تساهم في ارتفاع مستوى الوفيات. فضلا عن انخفاض الإنتاجية الاقتصادية. ويتصل الفقر أيضا اتصالا وثيقا، بالتوزيع السكاني والمكاني غير الملائم.[1]

كما يحاول محمد مفلاح تصوير الحياة اليومية في أدق تفاصيلها لرسم صورة المجتمع الجزائري بصفة عامة والغليزاني بصفة خاصة معتمدا على الوقائع والأحداث، والأحاسيس المشحونة. وقد اعتمد على المنهج الاجتماعي في كتاباته. فرواياته اجتماعية بامتياز لما تقدمه من مظاهر اجتماعية وصور تكشف عن علاقات خاصة تربط بين مجموعة من الفئات فهي تتضمن معرفة اجتماعية تكشف لنا عن ظاهرة السلطة والنفوذ في مجتمع متخلف، وعن علاقات تعري واقعا قائما بذاته والكاتب محمد مفلاح يعمد إلى النبش في اليومي والهامشي والظرفي، ويقدم لنا صورة اجتماعية يتبين من خلالها الوطن الذي نخرته مجموعة من الأمراض الاجتماعية التي تفشت فيه مؤخرا[2]، ولعدم توفر أساسيات الحياة عانى الشعب والجزائري من الأوبئة والأمراض المختلفة التي كان تبيد الشعب وبانقطاع السبل بسبب القمع والظلم والعجز، تسود في المجتمع مختلف الآفات الاجتماعية التي تفتك به، فيتحولون من الطرق الشرعية إلى غير القانونية، ويضعون الحيل المختلفة

[1] – محمد ساري، الأدب والمجتمع، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د ت، ص: 23.

[2] – (بتصرف): صالح مفقود، نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل، مجلة أبحاث في اللغة والأدب العربي، ص: 16.

ومنها[1]: الرشوة حيث يتم تقديم مبلغ مالي معين أو شيء مادي ذي قيمة للتأثير على شخص ما وإقناعه بفعل معين بطرق لا تتفق مع واجباته، للحصول على منفعة معينة في الحياة اليومية، وتعد الرشوة شكلاً من أشكال الفساد غير القانوني بسبب ما تحمله من دلالات غير أخلاقية تهدف إلى تحقيق مصالح معينة بطرق غير مشروعة[2]، أيضا التشرُّد الذي يُعرَّف وفقاً لمنظمات الصحية الدولية بأنّه عدم إيجاد الشخص لمكان يسكنه ويأويه، أو هو اضطراره للإقامة في المرافق الحكومية والخاصة (الملاجئ) التي توفر الإقامة المؤقتة ليلاً، فيما يقضي المشردون معظم يومهم في الطرق، كما يمتد التعريف ليشمل فئة الأشخاص الذين يُجبرون على العيش مع عائلات أخرى كفرد من أفرادهم لعدم المقدرة على البقاء والعيش مع العائلة الأصل نظراً لظروف قاهرة لا يمكنهم التغلب عليها أو التكيف معها. يترتّب على التشرد آثار سلبية عديدة تنعكس على المجتمع حيث تخلق حالة الظلم المجتمعي الذي يعانيها الفرد المشرد، وعدم تحقيقه لمفهوم الرفاه الاجتماعي إلى حالة من الانقسام المجتمعي الأمر الذي يؤدي بدوره إلى ضعف في النسيج المجتمعي نفسه؛ مما يؤدي إلى انهياره في النهاية.[3]

الانتحار يُعدّ الانتحار من الآفات الاجتماعية الذي يُعرّف بأنه قتل المرء لنفسه، ويكون السلوك الانتحاري عادةً ناتجاً عن أحد الأسباب الآتية: اضطراب أساسي في صحة الفرد العقلية، مثل: الاكتئاب، أو انفصام الشخصية، أو الاضطراب ثنائي القطب حيث يُنصح حينها بإحالة الشخص إلى أخصائي صحة عقلية. قد يأتي سلوك الانتحار نتيجة لبعض الظروف المحيطة بالفرد، مثل: الفقر، أو البطالة، أو السجن أو غيرها من أسباب. قد يكون نتيجة تعاطي بعض المواد، مثل: الكحول، أو بعض العقاقير، أو المخدرات.[4]

---

[1] – (بتصرف): شنان قويدر، البعد الاجتماعي في مدونة عبد الحميد بن هدوقة، الملتقى الوطني الأول حول: النقد الأدبي الجزائري، 21،22، ماي، 2006، ص: 482.

[2] – سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1، 2012، ص: 08.

[3] – المرجع نفسه، ص: 08.

[4] – المرجع نفسه، ص: 09.

التمييز العنصري يوصف التمييز العنصري أو كما هو معروف بالعنصرية بأنه أيدولوجية تقوم على تقسيم البشر وفقاً لكيانات بيولوجية معينة كأجناس، حيث تربط من خلالها بين الصفات الشخصية التي يحملها ذلك الفرد وسماته الجسدية الموروثة، وعلى الرغم من وضع التدابير الدستورية والقانونية اللازمة لحماية حقوق الأقليات إلا أن ظاهرة العنصرية ما زالت منتشرة في بعض المجتمعات كآفة اجتماعية خطيرة.

الفساد الإداري هو استغلال بعض أصحاب النفوذ ومواقع السلطة لمناصبهم بشكل غير نزيه عن طريق المعاملات غير السليمة، أو قبول الرشاوى، أو غسيل الأموال وتحويلها؛ لتحقيق مصالح شخصية مما يؤدي إلى فقدان ثقة الأفراد في هذه المؤسسات وممارساتها.[1] حيث تتعدد أسباب انتشار الآفات في المجتمع الجزائري، ومنها الآتي: الفقر الذي يؤدي إلى الجوع. البطالة التي تؤدي إلى الإحباط. زيادة النمو السكاني الذي يُسبّب زيادة الضغط على الموارد. التحضر والذي يُقصد به انتقال السكان من المناطق الريفية إلى الحضرية. قلّة مستويات التعليم وما يترتّب عليه من نقص في فهم العواقب والأضرار الناتجة عن ممارسة الآفات الاجتماعية. الخرافات والمعتقدات الشائعة المنتشرة في المجتمع. التعصّب لجنس معين، والتمييز بين أحد الجنسين. التعصّب لطبقات معينة من المجتمع والذي يؤدي إلى شعور الآخرين بالظلم وعدم المساواة.[2]

عدم توعية صغار السن بالآفات الاجتماعية المنتشرة؛ ممّا يؤدي إلى سهولة انحرافهم وممارستهم للسلوكيات غير السوية نتيجة جهلهم بأضرارها. الطمع وحب السيطرة والهيمنة، وعدم تطبيق الأنظمة بشفافية، وانعدام الضوابط التي تحكم السلوكيات المنحرفة، ومن هذا تصبح الكتابة الروائية المفلاحية التزام أخلاقي وأدبي، اتجاه الواقع والفئات البسيطة.[3]

[1] – سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1، 2012، ص: 10.

[2] – المرجع نفسه، ص:11.

[3] – محمد علاء الدين عبد القادر، البطالة أساليب المواجهة لدعم السلام الاجتماعي والأمن القومي في ظل العولمة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003، ص: 10.

وعلى امتداد التاريخ البشري، كانت الهجرة ولا تزال تساهم في إعمار الأرض، وتلعب دورا هاما في تلاقي مجموعات بشرية متنوعة الثقافات، كما تشكل تعبيرا عن رغبة الإنسان في التغلب على الظروف الصعبة بحثا عن المناطق التي توفر الأمن والاستقرار، لتصبح في الأخير هذه الظاهرة موضوع الكثير من الكتابات الشعرية والنثرية على حد سواء، فموضوع الهجرة لا يعبر عن أسباب الهجرة ودوافعها فحسب، بل يكشف عما يسري في باطن هذا المجتمع من جميع النواحي، إن الكتابات الروائية من بين الأجناس الأدبية التي أخذت ظاهرة الهجرة كعينة لتصور الواقع الأليم الذي تعيشه هذه المجتمعات.[1]

اشتغلت الرواية العربية المعاصرة على موضوع الهجرة، حيث أصبحت تشغل فكر كل روائي عربي، فكانت معظم متونهم الروائية تعالج هذه القضية، وأضحت من أكثر المسائل إثارة للجدل، كما فتحت آفاقا للدراسات حول ما تخلفه هذه الظاهرة في بلد الغربة وحياة الاختلاف التي يعيشها المهاجر، وان كنا نعي جيدا أن موضوع الهجرة ليس بالموضوع الجديد، ذلك أن له جذورا في التراث العربي القديم، كما أسال موضوع الهجرة الكثير من الحبر في الفن الروائي الذي عبر عن أوضاع المهاجر العربي في خضم صراع الهوية والقيم بين الشرق والغرب، ومن بين الروايات العربية المعاصرة التي تناولت موضوع الهجرة نذكر على سبيل المثال "رواية من يستأجر لي وطنا" التي نحن بصدد دراستها، حيث تعد الهجرة ظاهرة اجتماعية وجدت وما زالت موجودة في كل زمان ومكان، فهي حركة طبيعية تمت في العادة من المناطق التي تئن من الضغط السكاني والمشكلات بأنواعها، وكذلك في المناطق التي تقل فيها فرص العمل والدخل إلى المناطق الأحسن ظروفا والأيسر حالا. كما قد يختلف الهدف أو الغرض من الهجرة من مجرد زيارة للعالج أو رحلة للدراسة إلى هجرة دائمة بحثا عن عمل أو استقرار عن طريق طلب حق اللجوء السياسي.[2]

[1] – أحمد الربايعية، دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية، دار الثقافة والفنون، عمان، د.ت، ص: 12.

[2] – المرجع نفسه، ص: 13.

وتعني الهجرة، بصفة عامة، الانتقال للعيش من مكان إلى آخر، مع نية البقاء في المكان الجديد لفترة طويلة، ويستثنى من ذلك الزيارة للسياحة أو العالج، وقد تكون هذه الهجرة من دولة إلى دولة، أو من قارة إلى قارة فتسمى " هجرة دولية"، وقد تكون من مدينة إلى مدينة داخل القطر الواحد، فتسمى "هجرة داخلية". تعد هجرة البشر من منطقة إلى أخرى ظاهرة إنسانية قديمة، قدم الإنسان، حيث كانت الظروف الحياتية والمناخية تفرض على الفرد الانتقال من مكان إلى آخر(فالفقر والمجاعات، وانتشار الأمراض، والحروب ...وغيرها) كلها عوامل فرضت على الإنسان الهجرة من الموطن الرئيسي، إلى دول ومناطق أخرى، بحثا عن الحرية والحياة الآمنة المستقرة، فغالبا ما ينتقل المهاجر من المناطق الفقيرة إلى المناطق الغنية، وقد يؤدي تدفق المهاجرين إلى بعض المشكلات مثل: البطالة، وصعوبة الاندماج، إضافة إلى حرمان المنطقة الأم من الأيدي العاملة الماهرة والكفاءات العلمية.[1]

تعالج رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" للكاتب واسيني الأعرج البعد الاجتماعي الثقافي. والرواية وإن كانت تتأسس على خلفيات اجتماعية وثقافية طبعتها بعلامات خاصة، على أساس أن المرجعي يطرح مسألة الخصوصية الأدبية. فإنها لا تقدم نفسها وسيط مصالحة مع هذه الخلفيات بقدر ما تقدم نفسها أداة نقد تهدم لتؤسس لواقع جديد ومختلف، حيث تشكل الرواية في مجملها محورين أساسيين يجسدان طبيعة العلاقات الاجتماعية وهما: محور الاقطاع وأعوانه ممن يمثلون التيار الرجعي، ومحور الفلاحين والطلبة المتطوعين، وبعض الموظفين الشرفاء الذين يمثلون التيار التقدمي في السلطة الحاكمة.[2]

[1] – رقية العاقل، إشكالية الأمن والهجرة في غرب المتوسط، مذكرة ماجستير في العالقات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2008، ص: 18.

[2] – جوادي هنية، البعد السوسيوثقافي في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 18، 2010، ص: 312،311.

الفصل الإجرائي :

تمظهرات البعد الاجتماعي في رواية

"من يستأجر لي وطنا للطاهر

مرابعي"

أولا: تيمة الهجرة والاغتراب من خلال الشخصية الرئيسية(زهير)

1-الهجرة:

تعد شخصية زهير الشخصية الرئيسة والمحورية التي تدور حولها أحداث الرواية، فهي أكثر حضوراً على طول الصفحات.

فزهير شاب جزائري من ولاية سطيف فضل الهجرة نحو الغرب من أجل أن يحقق ذاته وكينونته وان يعيش حياة أفضل وذلك بسبب ظروف البلاد خلال فترة التسعينات الى نهاية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، حيث انعكس الوضع الاجتماعي والاقتصادي والأمني على زهير وشباب الجزائر بصفة عامة، فالدولة الفقيرة التي لا تتوفر فيها سبل العيش الكريم يتشكل في ذهن أبناءها عوامل الهجرة الى بلدان أكثر تقدماً بحثاً عن حياة أفضل، وبما أن التيمة الأساس في رواية من يستأجر لي وطناً للروائي طاهر مرابعي ارتأينا تحديد مفهوم الهجرة لغة واصطلاحاً.

1-1-الهجرة لغة: الهاء والجيم والراء اصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع الأخر على شد شيء وربطه فالأول الهجر ضد الوصل وهجر النبي وتركه وفي الحديث يقول النبي محمد صلي الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الثلاث) فالهجرة في الاصل مشتقة من الهجر وهو القطع والترك.[1]

1-2-الهجرة في الاصطلاح: هي الانتقال المكاني أو الجغرافي لفرد أو لجماعة وأنه لا يربط المصطلح بأي قيم أو مشاعر داخلية للاتصال وانما هو مجرد وصف للمظهر الخارجي ويعرفونها علماء الاجتماع على أنها ترتبط بالأشخاص والتجمعات السكانية ومعناها انتقال الأفراد من مكان ومن بلد لآخر.[2]

[1] – محمد بن يعقوب ابادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1999، ص: 466.

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990، المجلد 13، ص: 565.

كما يعرفها الأستاذ إيفرت لي (EVERTE.LEE) أنها التغيير الدائم أو الشبه الدائم لمكان الإقامة دون أن تقيد بمسافة معينة وإذا كانت حرة أو إجبارية، داخلية أو خارجية.[1]

من خلال هذه التعاريف يمكن القول إن الهجرة ظاهرة موجودة منذ القدم وهي تظهر من خلال انتقال الأفراد من منطقة لأخرى ومن موطن لآخر غير موطنهم الأصلي، وتكون الهجرة نتيجة أسباب متعددة ومتداخلة بحثا عن ظروف أنسب وأريح للعيش والاستقرار.

فهجرة زهير من الجزائر إلى الغرب كانت لأسباب متعددة تتصدرها العوامل الاجتماعية والاقتصادية ألا وهي الفقر والبطالة الشبه كاملة وتدني حالة الصحة والتعليم مقارنة بالدول المتقدمة وانخفاض في مستوى الدخل وقلة فرص العمل ولهذه الأخيرة (الشغل) السبب الرئيسي الذي دفع بزهير لمغادرة الوطن كونه شاب متخرج ولم ينل حقه ولم يضمن كرامته في بلده، حيث قال في الرواية: "جئت أبحث عن الحياة في عالم أفضل، جئت أبحث عن عمل ومستقبل".[2] فاغتراب زهير عن موطنه لم يكن اختياريا بل كان إجباريا، من أجل الوصول إلى الأشياء التي لم ينلها في الجزائر وكذلك نجده يقول: "وطنا يطاردك خارج حدوده...أنت لم تهرب من التراب...لم تهرب من وديان وأشجار الجزائر...أنت هربت من مجتمعك...هربت من مشاريعك الفاشلة...هربت إلى أفق مستحيل في وطنك"[3] حيث عندما يضيق الوطن بأبنائه حتى التنفس فيه يصبح أمرا صعبا، فتتشكل فكرة الهجرة هروبا من مشاريعهم الفاشلة فيه ومن أجل تحقيق ذاتهم وطموحاتهم التي يرون تحقيقها في أوطانهم أمرا مستحيلا، بسبب الظروف السائدة في الجزائر خلال فترة التسعينيات المعروفة بالعشرية السوداء.

[1]– انشراح الشال: المغترب ووسائل الاتصال، دار الفكر العربي،1987، ص: 16.

[2] –طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، دار الخيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019، ص: 14 –15.

[3] –المصدر نفسه، ص: 15.

فالبطالة والفقر وعدم توفر العمل من أبرز الأسباب التي أدت بزهير إلى التغذية بفكرة الهجرة، من أجل تلبية متطلباته الإنسانية والحاجيات الحيوية كالتغذية والسكن والصحة والتعليم أملا في تحقيق معيشة أفضل. بالإضافة إلى العوامل السوسيو أمنيو أمنية بسبب انتشار الحروب والصراعات السياسية التي تحولت إلى نزاعات وعدم استقرار أمني وهذا ما عرفته الجزائر في العشرية السوداء الذي أدى إلى تأزم الوضع الأمني وبالتالي أصبح الهروب هو الحل الوحيد بحثا عن الاستقرار الأمني.

وكذلك في هاته الفترة مر معظم الشباب الجزائري كزهير بالعنف والاحتقان والتهميش والقمع ولاستبداد والفساد واللاعدل من قبل النظام السياسي الحاكم بالسلطة، ونشعر بعدم المساوات وأكذوبة الديمقراطية في البلاد عند قوله: "بينما كان الشعب يبحث عن لقمة عيش ويسعى إلى تحقيق العدالة، كان قادة الأحزاب يسعون إلى الوصول إلى المناصب وتحقيق المكاسب...فالديمقراطية في الوطن صراع مناصب وليس صراع شعوب".[1] فكل هذا أدى إلى القنوط واليأس من عيش حياة مستقرة داخل البلاد، وخاصة شباب جيل التسعينات، فهو جيل لم يأخذ نصيبه من مشاريع زمن الاشتراكية ولا تنفس نسيم الديمقراطية مثل الأجيال السابقة، فعندما قرر هذا الجيل أن يثبت ذاته وأن يأخذ موقعه في المجتمع، اكتشف بأن الأوان قد فاته، فتفاقمت في ذهنه ظاهرة الهجرة أملا في تحقيق حياة أفضل حيث قال زهير في الوراية: "أنا أنتمي إلى جيل فاشل...جيل وجد ليدفع ضريبة أخطاء من كان قبله...استيقظ على أخبار قوارب الموت للمهاجرين السريين المتوجهين نحو أوروبا وهي تملأ الأفاق، فغامر بركوبها بحثا عن بصيص أمل في زاوية من العالم يمكن أن تحتويه...لقد ابتلعت أحلاما كثيرة، أنهت حكايات حب عفيفة...تقطعت قلوب...ثكلت أمهات...شابت أذرع ناعمة...وبقي هذا الوطن صغيرا في أيدي الذين يعيشون فيه".[2]

[1] –طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص: 69.

[2] –المصدر نفسه، ص: 68.

أي أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسوسيو أمنية والنفسية من العوامل الأساسية في التحفيز على الهجرة والنظر إلى ما وراء البحار عن آفاق وأماكن أرحب ومستوى معيشي أحسن مما هو متاح وموجود داخل الوطن.

وهنا نستطيع القول ان الروائي طاهر مرابعي من خلال نموذج شخصية زهير لم يعد يرى أملا في العيش في الجزائر، وأن لا حياة فيها وأن هذا الوطن لا يصلح لهم، حيث قال زهير في الرواية: "نستطيع القول من أننا العدم من هذا الوجود".[1] فتتشكل في ذهنهم النظر إلى ما وراء البحار عن آفاق وأماكن أرحب وحياة أفضل ومستوى معيشي أحسن مما هو متاح وموجود داخل الوطن. فمن أبرز المواضيع البارزة في الرواية، ظاهرة الهجرة والتي هي قضية مهمة وراهنة في وقتنا الحالي سواء لدى الشباب أو العائلات بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والأمنية.

2-الوطن:

رغم حب زهير لوطنه لكن الظروف أرغمته على مغادرتها متأملاً من أن يجد في الغربة مالم يجده في وطنه فالوطن هو الارض التي يولد فيها الانسان وينشى ويكبر في أحضانه وهو المكان التكثر أماناً من أي مكان آخر وما يحمله من ذكريات لا يمكن نسيانها فحب الوطن فطرياً وهو بمثابة قلب الانسان، وليس الوطن الفضاء الجغرافي بنسبة للطاهر مرابعي بل هو الفضاء السردي الذي شغل الرواية، إضافة إلى تموضعه كلفظ دلالة في عنوان الرواية، هذا ما يدفعنا للوقوف عند مفهوم الوطن: وردت كلمة وطن في معجم لسان العرب لابن منظور على أنها: "المنزل الذي نقيم فيه، وهو موطن الانسان ومحله في قول رؤية يقول: أوطنت وطننا لم يكن من موطني، لو لم تكن عاملها لم أسكن بما ولم أرجن لها في الرحمن والجمع أوطان، أوطان الغنم والبقر: مرابضها وأماكنها التي تأوي.... وطن نفسه على الشيء

[1]- طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص : 65.

وله فتوطنت حملها عليه"[1]. فالوطن حسب ابن المنظور الموطن والمنزل والمسكن والمقام، وهو المكان الذي يجب ان يحس فيه المرء بأن له حصة من غيره، ولا يشعر به بالظلم فالوطن اوسع من مجرد مكان.

فالوطن هو بمثابة ذاكرة الانسان وهو ما نستشفه من خلال قول الجرجاني:" مولد الرجل والبلد الذي هو من، وطن الاقامة موضع انه يستقر فيه خمسة عشر يوما او أكثر من عشر ان يتخذ مسكنا".[2]

ومفهوم الوطن بالمعني الحالي: هو البلد الذي يسكنه المرء ويرتبط به، وينتمي إليه. وهو ما يولد لدى الانسان الشعور بالحق والأمانة والحوية والكرمة والسعادة بالانتماء ولا يشعر بها إلا الأنباء الحقيقيون، حيث قال زهير في الرواية: "تملك في الوطن وطنيتك".[3]

فالوطن بنسبة لزهير في كلمة هو الأم، فهو متيقن من البداية ان مهما سافر ودار من بلدان حول العالم، " فلن يجد أحن من حضن وطنه ولا أدفئ منه، حيث قال الرواية: سامحيني يا أمي سافرت من أجلك وعدت من أجلك، كنت أعرف منذ البداية بأني لم أجدك هناك".[4]

فالوطن هو تماما كالأم الحنونة التي تحتضن أطفالها وتمنحهم الشعور بالأمان والسكينة، أي إن لم يكن الوطن غاليا لهذه الدرجة لما سمي بالوطن الأم. وكذلك نجده يقول وهو مغترب عن وطنه: "ما أضيق العالم حيث تكون بعيدا عن وطنك".[5]

وهنا يصح لنا القول إنه من يعيش في بلد غير بلده مثل الإنسان الذي يعيش في بيته شخص لا يعرفه.

---

[1] –أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة (وطن)، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990، المجلد 13، ص: 451.

[2] –علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: الزمخشري، دار الكتب، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص: 212.

[3] – طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص: 113.

[4] –المصدر نفسه، ص: 137.

[5] –المصدر نفسه، ص: 81.

فزهير غادر وطنه كرها بسبب الأوضاع التي في البلاد والبحث عن نقائصه (المال، الحرية) في بلاد الغربة، علما أنه متيقن من النجاح في توفير كل متطلباته خارج موطنه ولكن سيعيش فاقدا لروحه ووطنيته. حيث قال: "قد تمنحك أي دولة في العالم المال والحرية، وتنجدك من الفقر وربما الموت، لكنها لن تكون لك وطنا".[1]

وحب الإنسان لوطنه والشعور بروح الانتماء هو شعور يغرسه الأمهات والآباء في نفوس أبناءهم وقلوبهم، كما يحثون على أن يكونوا أفراد صالحين في المجتمع وأن يكونوا مخلصين له دون تفكير وأن يعلو ويرقوا من المكانة التي كان عليها، فمهما دارت الأزمات يبقى الوطن الملجأ الوحيد الذي يحتضنك حيا أو ميتا، ويبقى حب الوطن شيء مزروع فينا لا يمكن الاستغناء عنه، فهنا نستذكر بيت الشاعر الشريف قتادة أبو عزيز بن إدريس:

بلادي وإن جارت علي عزيزة *** وأهلي وإن ظنوا علي كرام[2]

رغم الظروف القاسية والقاهرة التي صادفت شخصية زهير إلا أن هذا لم يجعله ينكر من أنه ابن تلك الدولة ومدى حبه واشتياقه وحنيته لها وهو في ديار الغربة، حيث قال في الرواية: "انتبهوا أنا جزائري وقوله أيضا: لن أمثل إلا الجزائري".[3]

فهنا ترى مدى حب وافتخار واعتزاز وشموخ الروائي طاهر مرابعي بكونه جزائريا من خلال نموذج شخصية زهير، كما جعلنا نشعر من أننا نملك الكثير من الأشياء ولكن لا تدرك قيمتها إلا إذا فقدناها أو ابتعدنا عنها. فالشعور بالشوق والحنين إلى الوطن شعور لا يعلمه إلا من عاشه أي إلا من اغترب عن وطنه.

[1] – طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص: 82.

[2] –alnafjan@gawab.com

[3] – طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص: 111.

تنقلات زهير في ديار الغربة والصعوبات التي واجهها لتحقيق ذاته:

هجرة زهير من بلده من أجل تحقيق ذاته جعلته ينتقل إلى العديد من البلدان وكذلك مواجهة الكثير من الصعوبات، فأول بلد يحط فيه زهير رحاله كان نيقوسيا فهناك لديه صديقة تعرف عليها عبر مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) تسمى سلاف فاستغل زهير هذه الصديقة الجميلة من أجل أن توفر له منصب عمل ويتعرف من خلالها على أبناء وثقافة هذا البلد أكثر، فهو يتظاهر على أنه اغتنم معرفة سلاف الإيطالية من أجل دخول أوروبا لكونه يحب المطالعة ويهمه الفكر الغربي وخاصة الروسي وأنه لا يهمه المال وبعد أشهر وأسابيع سيشد أمتعته إلى منطقة في البلقان وفي الحقيقة عكس هذا فهو جاء من أجل المال والحرية التي لم يشعر بها ولم يجدها في بلاده حيث قال في الرواية وهو يخاطب في نفسه: "جائع لكل شيء...للطعام، للجسد، للحرية، للموت، للحياة، للسلطة والمال".[1]

وهنا في نيقوسيا عرفته سلاف على أحمد وهو أيضا جزائري من ولاية الأوراس، أقام طويلا في أوروبا الشرقية حيث تخرج من أكاديمية موسكو العسكرية ولم يرجع إلى الوطن بعد إتمام تكوينه، فجعلت لهم لقاء وذلك من أجل مساعدة زهير في دخول موسكو، فتبادلا التحية، وأعطى أحمد لزهير نظرة عن المكان الذي هو فيه الآن، بأنه مكان محدود الحرية وأن الناس هنا في أوروبا الشرقية يعملون لكسب قوتهم اليومي فقط، وألطف الحرام هنا هو التجارة بالسلاح والمخدرات، من أول لحظة تتحمل مسؤولية أخطائك، كما نصحه إلى الرجوع إلى الجزائر إن أراد المحافظة على ثقافته أو السفر نحو الخليج فهنا لن تكسب إلا القليل على عكس الجهة الغربية لأوروبا، كما أعطاه عنوانين لأصدقائه يساعدونه ويخدمونه إن أراد السفر إلى روسيا، العنوان الأول إلى شاب جزائري يدعى مرجان، يعرف شوارع موسكو وأزقتها، فهو يكمل في دراسته هناك يستطيع خدمتك ومساندتك إن فضلت السفر إليها، والعنوان الثاني لصديقه ساعد يعيش في أوكرانيا قد تحتاجه عند المرور عليها إلى روسيا، كما نصحه من جعل اسم مستعار له وأن لا تقدم مواعيد دقيقة لمن لا تعرفهم

[1] –طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص: 9.

جيدا، وعند دخول نزل اختر غرفة يوجد فيها أكثر من مخرج، وعليك أن تنتبه إلى تصرفاتك، وترك النوايا الحسنة لعلاقتك مع الله، والتخلص من الهدايا التي يرسلها إليك أشخاص مجهولين دون لفت الانتباه، وكل هذا الحوار الذي دار بين أحمد وزهير كان في مطعم شعبي، كما قال زهير: "رب صدفة غير من ألف ميعاد"[1]، فمن أجمل الصدف التي واجهت زهير في هذه المغامرة أن نادل هذا المطعم كان عربيا، أعجب زهير كثيرا بالنادل الذي يدعى نوزاد وحاول أن يكون معه على تواصل من أجل معرفة المزيد على المكان الذي هو عليه والصعوبات التي يجب الحظر منها، فاتفقا على أن يكونا لهم موعد متجدد لتعرف على بعضهما أكثر، فنوزاد شاب سوري، كاتب ومحلل سياسي، ومساهم في نشر مقالات صحفية، فهاجر من وطن إلى نيقوسيا بسبب مطاردة الشرطة له لكونه نشر مقالا سياسيا، حيث أصبح يعمل نادل في مطعم شعبي، غير أن عمله في هذا المطعم غير مستقر.

كما عرف زهير نفسه إلى نوزاد فازدادا تعلق بعضهما ببعض أكثر، لكونهما ينتميان إلى أمة عربية إسلامية ويشتركا في شوقهم وحنيتهم إلى أهليهم وأوطانهم قال زهير في الرواية: "حب الوطن يحي في قلوبنا حيث تبتعد عنه"...[2] فأعجب كل من زهير ونوزاد بتفكير الآخر واتفقا على اختيار وجهة مشتركة وجعل البحث عن العمل جزء من مشروع خطتهم، فقبرص قدمت لهم ما في يديها، فتجمعا وقررا أن تكون هجرتهم الموالية إلى بلد ألبانيا، وإن كان الوضع الاقتصادي فيها غير حسن ولكن ستكون قريبة من الناحية الاجتماعية لكون أهلها بسطاء ومجتمعاتهم مسلمة وغير عدائية، كما أنها بوابة دخول إلى مقدونيا وصربيا وأوكرانيا لكونهم من دون وثائق قانونية، فسافرا كلاهما إلى ألبانيا وأصبح الصعب سهلا، وعلى الرغم من أن الألبان مسلمون إلا أنهم لا يجيدون اللغة العربية، فاستغلا لغتهم العربية من أجل العمل وكسب المال فرفع نوزاد صوته مع صوت الآذان في القرية، فتبادل كل منهما الشكر والتحية من قبل أبناء الألبان وتركوا لهم المحراب حيث أنهم فضلوا أن يصلي بهم

[1] – طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص: 25.

[2] – المصدر نفسه، ص: 21.

عربي، لكون النبي عربيا، والقرآن نزل بلغة العرب، فصلوا بهم ركعتا الجمعة وبعد الانتهاء عرفوا بأنفسهم وأن الأقدار جمعت بينهم وأوصلتهم إليهم (أي إلى البلقان). فأعجب أبناء البلد بزهير ونوزاد وسلموا لهم مفاتيح منزل الضيوف الذي قاموا ببنائه مع المسجد كما أعجب كل من زهير ونوزاد بكرمهم ومد يد المساعدة لهم، ولكن ان الاهتمام بنوزاد أكثر وذلك بسبب الأخبار التي يسمعونها عن بلده حيث قالو بأن سوريا في فوضى والمظاهرات تملئ الشوارع أي كانت بداية حرب، فخبر الاضطرابات التي حليت بسوريا كان غير مناسب في تلك الفترة، حيث زعموا أبناء البلقان بأنهم فارون من الحرب على الرغم من أن زهير غير سوريا، فوجب عليهما مغادرة هذا الوطن في أقرب وقت، فساعدهم صديق لنوزاد المدعو أحمد في مغادرة هذه القرية نحو تيرانا، حيث حجز أحمد لصديقه نوزاد عمل هناك، وفي طريقهم إليها اقترح أحمد على زهير مرافقته نحو بلده (مقدونيا) وأنه سيتدبر دخوله بدون وثائق ومن مقدونيا سيتوسط له مع ابن عمه رجل الأعمال الذي يملك استثمارات في أوكرانيا لكونه معروف في مساعدة الشباب الراغبين في السفر إليها، حيث يستخرج لهم وثائق الإقامة باسم فندقه او اسمه الشخصي فأعجب زهير بفكرة أحمد لدخول مقدونيا وجعلها نقطة عبور للوصول إلى غايته وهي دولة أوكرانيا، بقيت فكرة أحمد تدور في ذهن زهير حتى وصلوا إلى تيرانا وهو مفترق طرق بين زهير ونوزاد وسوف يسلك كل منهما طريق، ولا أحد يدري هل سيكون بينهم لقاء مرة أخرى أم لا ؟

موقف الافتراق صعبا، حيث قال زهير في الرواية: من عاش الصداقة ليس كمن سمع عنها...وجاء في خاطري بين شعر، أحببت أن أستقر به في قلب نوزاد، كأعظم ما أستطيع أن أمنحه لعزيز وانا لا أملك شيئا...

((ما أكثر الأصدقاء حين تعدهم *** ولكنهم في النائبات قليل))[1]

وقال أيضا: "يعجز لساني عن إيجاد كلمة معبرة أرد بها على فضل نوزاد".[2]

[1] –طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص:83.

[2] –المصدر نفسه، ص: 83.

فتبادلا عناقا طويل وكل منهم يذرف الدموع وبعدها توجه نوزاد إلى عمله في اليوم الأول، بينما زهير وأحمد انتظرا الليل لعبور الحدود نحو مقدونيا، يغادر طيف نوزاد من ذهن زهير وتشد يد محمد مقود السيارة متوجهة نحو مقدونيا أما زهير فغاص في نوم عميق للاستعداد إلى يوم جديد وهكذا إلى أن وصلوا إلى مقدونيا، حيث اتخذ زهير مقدونيا من البداية محطة عبور حتى يتم ابن عم محمد تحضير وثائق إدارية له من أجل دخول أوكرانيا بطريقة شرعية وبعد عدة أسابيع أخبر محمد زهير بأن وثائقه أصبحت جاهزة كما أن مهمته وواجبه اتجاهه قد تم بمجرد مغادرة الأراضي المقدونية وكما رحب به في مقدونيا إن أراد العودة مرة أخرى، وها زهير في طريقه متوجهة إلى أوكرانيا أخرج الورقة المدون عليها عناوين أحمد التي تركها له عند الالتقاء به في المطعم الشعبي، حيث أخبره أحمد عن ساعد الذي يقيم في نقطة من المكان الذي هو عليه الآن بعد الوصول وطرق الباب يتفاجأ بصديقه مرجان الذي تقاسم معه غرفة الإقامة الجامعية يفتح له الباب، فهو أيضا ضيف عند ساعد يكمل في دراسته في جامعة موسكو، على الرغم من صعوبة الحياة هنا وقلة فرص العمل.

اجتمع زهير بمرجان وساعد ويمضي المساء وهم يتحدثون عن الوطن يجوبون كل أقاليمه من الشرق إلى الغرب ومن السياسة إلى الاقتصاد إلى الفن، وتتحول أبسط القضايا إلى ملفات ساخنة والأمور العادية داخل الوطن إلى أمور جليلة عندما ابتعدوا عنه، وأخذ كل منهم يحكي حكاية مضحكة يستذكرها وهو في وطنه إلى أن اختطفهم النعاس، وفي اليوم الموالي ازدادت رغبة زهير في معرفة كل شبر في هذه الأرض التي يمكن أن تكون مستقرا له، ادى صديقه مرجان دور الدليل السياحي لكونه يدرس قبلها وإن لم يكن يعرف الكثير ولكن عموما أفضل من زهير، وهما يجولان في شوارع أوكرانيا حتى جلسا في كرسي داخل حديقة وهما يضحكون عن حكام العرب حتى ينطق شيخ مشرد يقبض في يديه كيس مملوء بالملابس القديمة، كانوا قد جلسوا قريبا منه: عرب يضحكون على عرب،[1] فاندهشا من حديثه، فقال لهم:

[1] –طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 106.

– أنتما من قسنطينة أم من جيجل أم سطيف...أم بجاية؟

– نحن من سطيف .. هل تعرفها؟

– هل مازلتم تشربون ماء عين الفوارة؟

– ما زلت لم تعرفنا بنفسك.. عنا نحن فقد فتحنا باب الدار وأدخلناك

– أنا من قسنطينة، أو كنت من قسنطينة.. تستطيعان مناداتي عمي صالح.

فدار بينهم حديث طويل ويذكر أنه غادر الجزائر منذ خمسين سنة ولم يعد إليها، حيث هاجر إلى فرنسا بعد الاستقلال على الرغم أنه لم يكن بحاجة إلى ترك البلاد، وهنا بدئ حياة جديدة وتزوج بأوكرانية وبسبب خلاف دار بينهم طردته من المنزل على الرغم من وجود لدي ثلاثة أبناء معها، ولكن هنا في الغرب تختلف التقاليد فالأبناء هنا ليسوا مثل الأبناء عند العرب، فهنا عندما يبلغ الثامن عشر من عمره يصبح الابن حرا، ويعيشون حياتهم الخاصة كما يشاؤون، على عكسنا نبر بوالدينا عندما يكبرون حيث قال: "لو أن الحياة تعود بي إلى الوراء لكان لي تصرف آخر.. لكن فات الأوان".[1] فمن خلال الحوار الذي دار بينهم نلاحظ مدى ندم عمي صالح على ترك البلاد، كما أمرهم بالرجوع إلى الجزائر وعدم ترك مجال للحصرة والندم حيث قال: "ارجعا إلى وطنكما ولا تمنحا الندم فرصة"،[2] فمرجان من البداية كانت خطته العودة إلى الوطن بعد إتمام دراسته، أما زهير فبقيت نصيحة عمي صالح تدور في رأسه. كما كانت لهم لقاءات متعددة ازداد فيها قربهم وثقتهم مع بعضهم البعض يروي فيها عمي صالح قصص بطولاته مرة وخيباته مرة أخرى، وكان الهدف الوحيد بالنسبة لعمي صالح من خلال علاقته بزهير هو إقناعه بالعودة إلى الوطن، كما قال له: "لا تستدر خلفك فالحياة أمامك"...[3] فجهة الخلف الذي نهاه من الاستدارة إليها هي الدول الأوروبية وجهة الأمام الذي دعاه إلى الذهاب إليها هي وطنه الذي تركه.

[1] –طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 108.

[2] –المصدر نفسه، ص: 108.

[3] –المصدر نفسه، ص: 130.

فزهير مثله مثل الكثير من الشباب الذين يظنون أن أوروبا هي الجنة الخضراء الموعودة، فيغامرون بحياتهم من أجل بلوغ هذه الجنة التي توفر لهم العمل والأمان والمسكن والحياة بكل ما تحمله من معنى، لكن الواقع يثبت غير ذلك فدول الغرب تستغل هذه الفئة التي تعد يد عاملة مرنة لا تتطلب أجور مرتفعة ولا ضمانات اجتماعية ويعتبرونهم سلع بشرية نظرا لهشاشة وضعيتهم وافتقارهم للأدوات القانونية التي تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، فتستفيد هذه الدول الأوروبية من خبرتهم وأعمالهم بمقابل زهيد وبشروط قاسية ولا يستطيعون الاعتراض لكون إقامتهم غير قانونية. كما أنهم لا يتمتعون بأي حماية قانونية لذا يجدون أنفسهم تحت رحمة شبكات التهريب وأصحاب العمل الذين يستغلونهم أبشع استغلال كأنهم عبيد، حيث تحدث زهير عن نظرة الغرب لأبناء المهاجرين نظرة استعباد: "شعوبنا تؤدي أدوار العبودية بالفطرة، السيد الأمريكي انتقل من الزنوج إلى العلوج كان يستعبد السود الذين يأتي بهم من إفريقيا إلى وطنه، واليوم أصبح يمارس الاستعباد بالوسائل التكنولوجية، هو يستعبدنا بالفلس الذي نحصل عليه من العمل في أوطاننا".[1]

كما أنهم يمارسون عليهم جميع وسائل القمع والعنف لكونهم لاجئين، حيث قال نوزاد وهو في اليونان: "أشبعتنا الشرطة ضربا بالهراوات وكنا لا نجد ما نأكله وكنا نعاني من قمع شديد، وعندما اقترب موعد زيارة بعثة الأمم المتحدة للاجئين، قامت السلطات بجمعنا في مخيم مسيج ومحاصر بالجيش وتم تسجيل أسمائنا في قوائم، تسلمها ممثلو الأمم المتحدة للاجئين لتقديم مساعدات مالية لحكومة اليونان، ومباشرة بعد مغادرتهم عاد أسلوب القمع والعنف باستعمال الهراوات، وتم طردنا إلى الحدود حتى نخرج من التراب اليوناني".[2] فكلمات هذا الشاب السوري (نوزاد) تختزل العالم المتوحش، وتكشف الستار عن دول الغرب الذين يتظاهرون بأنهم بلدان تنادي بحقوق الإنسان والعدالة والمساواة وفي الحقيقة هي أول من ينتهك هذه الحقوق ويخرق هذه المطالب، وهي العواصم نفسها من تستعمر دول العالم الثالث ولتنهب ثروتهم وكذلك محاربة معتقداتهم وانتماءاتهم حيث قال زهير عن حكام الغرب بصفة

[1] – طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 65.

[2] – المصدر نفسه، ص: 67.

عامة والأمريكي خاصة: "بينما يبني أهرامات الدولارات بعرقنا وثرواتنا، يستخرج بترولنا ثم يبيع لنا مشتقاته، بل يبيع لنا البترول الذي استخرجه في أوطاننا".[1]

فالغرب ينظرون إلى شعوب العالم الثالث نظرة احتقار وأنهم عبئ ثقيل على الدول المتقدمة أي يرونهم عبارة عن حاجز في طريق تقدم الإنسانية ولابد من التخلص منهم عبر حملات الإبادة، فبقاؤهم على وجه الأرض يؤثر سلبيا على الشعوب النامية، وهذه النظرية "نظرية الإبادة" جاء بها أغلب مفكرو وفلاسفة الغرب حيث قالوا:" إن شعوب أفريقيا وكثير من شعوب آسيا وشعوب أمريكا اللاتينية التي تسكن الأمازون والأدغال حجر عثرة في طريق تقدم الإنسانية ولابد من التخلص منها عبر حملات الإبادة. هذه الشعوب عطلت الكون بأكمله".[2]

فهنا يمكن القول أن زهير هذا السارد والبطل الرئيسي في الرواية من خلال انتقالاته وارتحالاته عبر هاته الدول الأوروبية، ألبانيا ثم مقدونيا ثم أوكرانيا...وغيرها الكثير، أراد من خلاله الروائي طاهر مرابعي الكشف عن المعاناة ومجموعة الانكسارات والإقصاءات التي تواجه المغترب الذي يرى في نظره فر من الجحيم إلى الجنة، فإذا به يواجه جحيم أمر وأضعف في قسوته وتأزمه وانكساره أكثر مما هو في وطنه، أي من ظن أن الشاب الجزائري أنه من هجرته خارج الوطن سيجد الجنة الموعودة فهو حالم، فالحال ذاته حتى في الجهة الأخرى، وهذه النتيجة لم تنطبق على زهير فحسب، بل جميع الشخصيات التي التقى بها زهير من أوطان عربية إسلامية هم أيضا واجهوا نفس المصير والعقبات والأزمات التي عاشها زهير. فالمصير في ديار الغربة بالنسبة للمهاجرين هو نفسه، حال المغترب في وطن ليس وطنه. فالخيبات التي واجهتها هاته الشخصيات كلها عاشت جانب من الشوق إلى أوطانهم والاحتقار والتعنيف والقمع من طرف الآخر، كما أنهم عاشوا التهميش في بلدانهم وعندما أرادو التحسين من وضعيتهم المهمشة وجدوا المصير ذاته في الاوطان الأخرى، إضافة إلى انتهاك كرامتهم في ديار الغربة، حيث قال زهير في

[1] – طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 65.

[2] – المصدر نفسه، ص:73.

الرواية: "قد تكسب المال في ديار الغربة ولكنك ستعيش فاقد لروحك.. مجرد آلة عمل".[1]

فالروائي من خلال هاته الشخصيات الموجودة في الرواية يبين لنا أن الهجرة إلى ديار الغربة مغامرة خطيرة غالبا ما تكون نهايتها مأساوية وأن الدوافع المؤدية إلى الهجرة كذلك يصعب تحقيقها حتى في تلك الجهة، فالهجرة إلى ديار الغربة ليست سهلة بل هي مغامرة محاطة بالمخاطر والخيبات والانكسارات وكذلك دخوله في مرحلة جديدة ألا وهي البحث عن الذات.

4-العودة:

وبعد هذه التجارب التي عاشها زهير وهو في ديار الغربة وجد نفسه بين اختبارين بين البقاء في أوكرانيا وإن كان مصيره فيها غير واضح أو العودة إلى الجزائر وهو لا يملك فيها شيئا، فقرار الرجوع فارغ اليدين إلى الجزائر صعب في نظره، حيث قال في الرواية: "لا أريد أن أعود إلى الوطن خالي اليدين".[2]

وهو يقيم في مساره استذكر نصيحة أصدقاءه من أوطان عربية وإسلامية التقى بهم في ديار الغربة، حيث قال له أحمد الجزائري وهو ينصحه للرجوع إلى البلد: "إذا رغبت في المحافظة على ثقافتك عد إلى الجزائر".[3] وكذلك نصيحة عمي صالح الذي قدمه له مع صديقه مرجان: "ارجعا إلى وطنكما ولا تمنحا الندم فرصة، فالندم لا يأتي إلا بعد فوات الأوان".[4] وكذلك قول صديق نوزاد له: "أنا جربت الغربة وتنقلت إلى عدة من الدول وعشت فيها، وأنت مثلي جربتها.. ليس أدوم ولا أفضل من الوطن، مهما كانت المعاناة وصعوبة العيش فيه.. قد تكسب المال في بلد آخر، لكنك ستفقد أشياء أخرى، ستعيش فاقد لروحك.. مجرد آلة للعمل".[5] تتوالى عليه الأيام في تحديد مصيره، كما أن مدة تواجده في أوكرانيا أصبحت طويلة، ففي ذلك

[1] – طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 94.

[2] – المصدر نفسه، ص: 95.

[3] –المصدر نفسه، ص: 20.

[4] –المصدر نفسه، ص: 108.

[5] – المصدر نفسه، ص: 94.

الفترة كانت أوكرانيا تعاني من شح كبير في العمل وترد في الاقتصاد، جعلت يشعر بأن الطريق فيها مسدود، كما جعلته يعزز قناعته بالرجوع إلى الوطن، فزهير رافض لفكرة إفناء شبابه في الغربة، ثم العودة في آخر عمره إلى الوطن، فمن المؤسف أن يقضي شباب الوطن حياتهم في تشبيه أوطان شعوب أخرى ويضيعوا أوطانهم حيث قال زهير وهو في نقاش عميق مع نفسه بين البقاء أو العودة: "لا أحد مات جوعا في الجزائر، نحن هنا نتسول عند الأوكرانيين، وعنما نعود إلى الوطن نفتخر ونخفي مالا يعرف الناس عن غربتنا".[1] كما كثرت تساؤلاته عن الأرض التي تركها بعد ما حررها الشهداء. قائلا في الرواية: "ماذا نفعل بالمساحات التي حررها الشهداء؟ هل حرروها من أجل أن نتركها ونهاجر إلى أوطان أخرى أو نلحق بالمستعمر ليستعبدنا بالعمل عنده؟ لماذا لا نعمل ونناضل من أجل أن نعيش في أوطاننا؟".[2]

لماذا نأتي إلى هنا نرهن رقابنا من أجل حفنة دراهم؟[3]

فكل هذه التساؤلات والنقاشات التي دارت في ذهن زهير جعلته يتأكد أنه فريسة سهلة للاصطياد من طرف الغرب حيث قال: لقد تم استغلالنا إلى أقصى درجة، هذا هو قانون الحياة، إما أن تبني وطنا، قويا تعيش فيه، وإما أن تلجأ إلى وطن صنع أبناءه قوته، فتدفع ثمن احتمائك به..[4]

فهنا قرر زهير تحديد مساره بالمكوث في أوكرانيا أو العودة إلى الوطن، وإن كان قرار عودته إلى الجزائر ملئ بالخوف من الندم بعد الرجوع، حيث قال وهو يخاطب في عمي صالح: أخشى أن أعود ثم أندم.[5]

فأجابه قائلا: "هل تظن بأنك ستجد الأرض مفروشة بالورد هنا سيشربون دمك قبل أن يعطوك أجرة شهرك وفي النهاية لن تجني إلا أرباحا كبيرة.[6] كما قال له: "تملك

[1] – طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص:133.

[2] –المصدر نفسه، ص: 134.

[3] – المصدر نفسه، ص:133.

[4] –المصدر نفسه، ص:94.

[5] –المصدر نفسه، ص:112.

[6] – المصدر نفسه، ص:112.

في الوطن وطنيتك...لكنك هنا لست أوكرانيا ولن تكون ولو حصلت الجنسية...لن يعطوك الوطن، ستبقى عربيا مسلما...مهاجر إفريقي".[1]

كأنما يقول الروائي طاهر مرابعي، إلى أين تفر؟ فالحال نفسه لا يختلف البلد الغربي عن البلد العربي، نفس النظرة نفس المصير نفس الأزمات، ولكن الوطن أرحم، تعيش مكرم على العيش في ديار الغربة تنتهك حتى الكرامة. فمهما سافرت لن تجد وطن بديل أحسن من وطنك، كما يصعب تربية أبنائك وفق عادات وطنك وتقاليده وهذا ما أكده عمي صالح عندما تحدث عن أبناءه قائلا: "كنت أظن أنني حصلت على كل شيء هنا، ولكنني اكتشفت بأني فقدت كل شيء، حتى أبنائي رحلوا وتركوني.. لا تزعم بأنك ستنجح في تربية أبنائك وفق عادات وطنك وتقاليده. سيفلتون من يدك ويصبحون أوكرانيين أكثر من الأوكرانيين أنفسهم وعندما يكبرون يتركونك ويرحلون.. هذه البيئة لها ثمارها المختلف عن ثمار بيئتنا، لن تنجح في تربية الجمال والنحيل هنا".[2]

خلاصة تجربة عمي صالح الرجل الذي عاش أكثر من خمسين سنة في الغربة، نصيحته الوحيدة الموجهة لزهير كانت العودة إلى الوطن، قبل الندم حيث قال له: الحياة موجودة في الجزائر.[3]

فشخصية زهير شخصية مثقفة مناضلة ومقاومة حيث أنه كان يدرك منذ البداية أنه سيكابد معاناة شديدة بمجرد رسم أول خطة خارج الوطن، ومتيقن من نجاحه في جني المال ولكن نجاحه سيفقده مالا يشترى ولا يسترد إن ضاع بالمال ألا وهو الانتماء، المكسب الذي لم ينتبه إليه زهير إلا بعدما فقده، وهنا قرر زهير حسم قراره ألا وهو الاستقرار على قناعة العودة حيث قال: أرضك في ذلك الوطن الذي تركته

[1] – طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 113.

[2] –المصدر نفسه، ص: 133.

[3] –المصدر نفسه، ص: 131.

وكنت تكافح فيه من أجل لقمة عيش.[1] كما قال أيضا وهو يعزز في قناعته: أستسلم في معركة كنت الجندي الوحيد فيها وقاتلت نفسي ضد نفسي، وخرجت ومنتصرا.[2]

هنا نستطيع القول بأن الروائي طاهر مرابعي من خلال عودة زهير إلى الوطن أراد أن يبين مدى صعوبة الحياة هناك وأن أوروبا ليست الجنة الموعودة التي يضنها أبناء العرب كما أنك لا تستطيع أن تجعل وطن غريب وطن لك وتستقر فيه،

كما بين الروائي مدى احتقار دول الغرب للاجئين وعبوديتهم وإبادتهم وانعدام الكرامة وأن الوطن البديل لا يعترف بهم ولا يشعرهم بالأمان على عكس أوطانهم التي هاجروها.

ففي الغربة أوجاع وشوق وحنين إلى الوطن لا يشعر بها إلا من عاشها، كما أن لكل شيء في الوطن نكهة جميلة أما في الغرب فالأشياء تفقد نكهتها وتصبح السعادة مجرد كلمة لا يمكن الإحساس بها.

كما حاول أن يعطي نظرة لشباب الراغبين في الهجرة وترك البلاد ألا تظن الذين هاجروا إلى الجهة الأخرى وجدو الحل، بل ندموا على فعلتهم ويبدأ التفكير بالعودة لوطنه ومسقط رأسه بمجرد خروجه منه وهنا نستذكر قول الشاعر: "رشيد طه".

"يا الرايح وين مسافر تروح تعيا وتولي".

"شحال ندموا العباد الغافلين قبلك وقبلي".[3]

[1] – طاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 23.

[2] – المصدر نفسه، ص: 134.

[3] –رشيد طه، 1993.

ثانيا-الحضور الأنثوي بين الفضائين الجغرافي والديني:

سلاف هي إحدى الشخصيات الرئيسية في الرواية وهي الأنثى الوحيدة التي تم التركيز عليها بشكل كبير.

فتاةٌ عزباء، شقراء، جميلة، عربية الأصل تعيش بإيطاليا، عاشت الشخصية علاقة صداقة افتراضية مع بطل الرواية الجزائري "زهير" على موقع فيسبوك، ومن خلال تواصلهما ساعدته على السفر إلى إيطاليا، هناك حيث اكتشفها بشكل مخالف تماما للصورة التي رسمها الافتراض له عنها، سلاف ابنة لأب عربي مسلم وأم أجنبية يهودية، تعيش حياتها بشكل فريد بين المخابرات وغيرها من الأعمال الخاصة وتتصف بعدة صفات متناقضة منها الغموض، الجمال، الضعف، القوة، الحماس، الرقة، المزاجية وغيرها. وهي شخصية فاعلة في الأحداث وذات تأثير كبير على بطل الرواية وباقي الشخصيات، (كانت تقول وراء ابتسامتها، فهمت لأنك ندمت لأنك اتيت، فهمت أنك تبحث عن فرصة لإهدار ابتسامة تستميلني، كانت ابتسامة عميقة حفرت فيّ أربع سنوات من التعارف الوهمي).[1]

لم يتم تصويرها من قبل الكاتب كشخصية عادية بل أشار من خلالها لعدة قضايا منها الهجنة، (أبي عربي، هو أردني وأمي يهودية) [2] طرح قضية الأبناء الهجناء ومعاناتهم وراء السطور عن طريق عرضه لحياتها التي عاشتها في تشتت فكري وثقافي بين أبوين مختلفين من ناحية الجنسية والديانة وركّز بشكلٍ ضمني على أن الهجنة لم تؤثر في إسلامها إلى مدًى بعيد، بل إن سلاف مالت كل الميل فيما بعد إلى شق والدها ودافعت عن دينه بعد أن كانت ميّالةً إلى شق والدتها في الماضي، كذا تمت الإشارة من خلالها إلى عقلية المرأة الغربية(شقراء نابولي التي حيرت المافيا والبوليس)[3]، الفرق الشاسع بين صورتها النمطية وصورة المرأة العربية، هاته الأخيرة

[1] – طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، دار الخيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019، ص: 12-11.

[2] – المصدر نفسه، ص: 59.

[3] – طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، ص: 12.

التي تتسم بالعفاف وقلة الاختلاط بالجنس الآخر والمكوث غالبا داخل البيت، في حين تندر هاته الصور في العالم الغربي بل وتعرض نقيضتها تماما فيصور لنا الكاتب سلافًا كمرأة شقراء جريئة تتنقل بسيارتها لإنجاز أعمالها الكثيرة التي تربطها بعدد من رجال الأعمال والمخابرات، تسافر بين دولة وأخرى لنفس الأهداف، كذا أعطيت لهاته الشخصية صورة المرأة النمطية المختصرة في الجسد والتي عرضت في عديد أصناف الأدب (أربكني جمالك)[2]، حيث تم التركيز على جانب سلاف الفيزيولوجي وعرضها كجميلة وعدم الإشارة لجانبها الروحي في أجزاء كثيرة من الرواية من ناحية أخرى ذكر الكاتب اسمها بشكل متكرر جدا داخل الرواية كما قام بإظهارها في أشكالٍ عدة وأنماط شخصية مختلفة وكذا بتسليط الضوء على كونها امرأة من طراز خاص.

1-"سلاف" دلالة الاسم:

أُطلق على الشخصية اسمٌ رباعيٌّ على وزن " فُعال" يحوي حروف "السين _ اللام _ ألف المد والفاء".. وحرف السين هو واحد من حروف الهمس يخرج من رأس اللسان ما بين الثنايا السفلى والعليا، ويدل عادة على الضعف والمسكنة ويتكرر في نصوص الغزل عند الشعراء فيقرن في كثير من الأحيان بالرّقة والأنوثة، أما حرف اللام فهو من الحروف المجهورة مخرجه حافة اللسان إلى منتهاها مما يلي الأنياب إلى ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا، دلالته الأدبية هي الأسى والتحدي.. أما ألف المد التي تسمى هنا بالألف اللينة تضفي على الاسم خاصية الامتداد سواء في الزمان أو المكان.. وأخيرا حرف الفاء وهو من الحروف التي تخرج من الشفتين.. الفاء حرف مهموس ورخو، وهاتان الميزتان تضفيان على الحرف خاصية الهدوء. وفعليًّا تشكل هذه الصفات جزءا يسيرا من شخصية سلاف المتشعبة.

أما عن اسم " سلاف " بالمجمل فهو اسم مشهور عند الفرس، كما أن لديه أصولًا عربية تعود إلى الجذر "س ل ف" والفعل "سلف" يراد به "سبق"، لذا تتسم صاحبة الاسم بكونها سبّاقة في أفعالها، سابقة لأقرانها أو سنها.. وفي الرواية يظهر

[2] – المصدر نفسه، ص: 10.

على شخصية سلاف أيضًا كونها مبادرة وسبّاقة تحب إنجاز الأعمال بمفردها، سابقة لمراحلها، ولحيزها كفتاة.. فهي ذات خبرة واسعة من ناحية المخابرات والتنقل، كذا فإن شبكة علاقاتها تحوي عددا من رجال الأعمال والمخابرات.[1]

2-أبعاد شخصية سلاف:

2-1-البعد الفيزيولوجي:

رغم إشارة الكاتب لجانب سلاف الفيزيولوجي في مواضع كثيرة من الرواية إلا أنه لم يدقق في ملامحها الجسدية بإسهاب بل ذكر بشكلٍ عام كونها جميلة وبيّن ثلاث صفات رئيسية ألا وهي:

-**شعرها الأشقر**: في قوله: (فتاة شقراء، شقراء نابولي).

-**عيناها الزرقاوان**: في قوله مشيرا لعينيها: (لا أعرف عنها سوى زرقة بحرين يسبح الغموض فيهما).

-**قامتها الممشوقة**: في قوله: (سلاف الممشوقة بقامة أبيها).

-**الشعر الأشقر**: يعتبر هذا اللون محببا لدى النساء في حدّ ذواتهن ولدى الرجال أيضا سواء دخل المجتمع الأوروبي أو خارجه حتى أن النساء حول العالم يتعمدن صبغ شعرهن باللون الأشقر لتأثيره الإيجابي عليهن، وحسب جامعة تريبنت بكندا فإن المرأة التي تقوم بصبغ شعرها باللون الأشقر تشعر بثقة أكبر وكبتٍ أقلّ، وبالنسبة لجامعة نوتنغهام ترنت فإن نساءا كثيرات شعرن بالميل نحو المغامرة بعد صبغ شعرهن باللون الأشقر. كما توصف المرأة الشقراء بكونها معجبة بنفسها بشكل مبالغ فيه، ومنه فهي تعد غالبا إنسانة نرجسية. وقد يعود سبب إعجاب الشقراوات بلون شعرهن وبشرتهن إلى فكرة تفضيل الشقراء على السمراء في وسائل الإعلام، ومن ناحية أخرى وصفت الشقراوات بالسطحية وقلة النضج، خاصة بالنسبة لتعاملهن مع رجال الشرق لأنهن يعرفن أن لجمالهن سطوة عليهم وهذا ما يجعلهن يصبن

[1] – سيميائية الشخصية في رواية الكافية والوشام لمحمد مفلاح، د ت، ص: 135.

بالغرور، وفي نفس الوقت فإن المرأة الشقراء تحتاج دائما إلى كلمات الإعجاب والثناء المستمر، كما أنها صعبة المزاج، نستنتج من ذلك كله أن الشعر الأشقر بالعموم يعكس داخل صاحبته روح المغامرة ويقلل في داخلها شعور الكبت، كما قد يزيدها إعجابا بنفسها وثقة فيها، هاته الأخيرة التي قد تتزايد إلى حد الغرور، وأمكن أن تكون له يد في طبعها النرجسي أو المزاجي، ويظهر في روايتنا أن (سلاف) تتصف بمعظم هاته الخصائص والطبائع حيث تطغى عليها الثقة وروح الانطلاق والنرجسية والمغامرة.[1]

-**العينان الزرقاوان:** يعتبر اللون الأزرق من الألوان المحببة كونه يدل على النقاء والسعة والبرودة، وهو ثاني أكثر ألوان العيون انتشارا في العالم بعد البني وهو من أحبّها وأقربها لمختلف الأذواق، وعادة ما يقترن بالشقر، ويتميز أصحاب العيون الزرقاء بمستوى عال من الذكاء، وبامتلاكهم قدرة على تحمل الألم، كما أن البعض منهم قد يتمتعون بقوة جسدية عالية ويمتازون بالذات العاطفية وبالحذر وعدم الانفتاح السريع، وعادة ما يقومون بتقييم الأمور والأشخاص بعناية قبل اتخاذ قراراتهم، ما يجعلهم يظهرون كأشخاص بطيئين في التواصل، وقد يتسمون بالغموض أحيانا. صاحب العيون الزرقاء شخص سعيد ومبهج يشعره الروتين بالغضب والاستياء، يتميز بشخصية قوية وثابتة، ويعتبر شخصًا موثوقا به في العلاقات الاجتماعية والعملية.

نلاحظ أن شخصية سلاف حاوية لجُلّ هاته الصفات وأن لون عينيها انعكاسا على شخصيتها كونها إنسانة ذكية متحملة للمصاعب ومتحكمة في انفعالاتها، حذرة وغامضة، تتصرف عادة بقوة وابتهاج، ناجحة عمليا واجتماعيا.[2]

-**القامة الممشوقة:** للقامة الممشوقة بعدان الأول هو الطول أما الثاني فهو النحافة ويعتبر الطول من الميزات المرغوبة عند كل الشعوب تقريبا، ونظرًا للصورة النمطية للطول كصفة جسدية حسنة فإن انعكاسه سيكون إيجابيا على صاحبه وعلاقته بأفراد

[1] – محاضرات السيميائيات الدكتورة رزيق أمينة، د ت، ص: 29.

[2] – موقع عربي بوست –موقع any quizzi –موقع موضوع (مقالات حول ألوان العيون)، الساعة: 20:20 يوم: 23.05.2024.

مجتمعه إذ يمنحه ثقة عالية وقدرة على الخوض في غمار الحياة الاجتماعية، ويتميز طوال القامة بكونهم أكثر جاذبية من غيرهم، كما أنهم يتفوقون على غيرهم مهنيا نظرًا للفرص التي يحصلون عليها بسبب قامتهم، أما النحافة نفسيا إن اقترنت بالطول دلت على شخص يميل إلى الحساسية والنشاط الذهني، يقظ الضمير، ردود فعله سريعة، ومتحفظ اجتماعيا وفي الرواية، تتصف سلاف بالثقة والجاذبية وبالتفوق من الناحية الاجتماعية والمهنية.[2]

2-2-البعد النفسي:

صور لنا الكاتب سلافًا كشخصية غير مفهومة وجعلها إحدى العقد الموجودة داخل الرواية بحيث يصعب على القارئ فهمها أو تحليلها.. فهي تجمع بين عدة صفات متناقضة منها الغموض والحيوية والقوة والضعف، الانفعال والهدوء والعقلية والعاطفية، صورها كفتاة متقلبة المزاج لا يتسنى لمن حولها التعامل معها بأريحية كونها تفتقر للشفافية والسلام النفسي، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحياة الصعبة والغريبة التي عايشتها، كونها قديمة العهد بالتعقيد والفوضوية، فقد عاشت الهجنة الثقافية والتفكك الأسري وحياة التنظيمات والمحافل ثم حياة المخابرات والهاكرز.

إن معظم حواراتها مع بطل الرواية تحوي الكثير من الألغاز والرسائل المبطنة وغالبا ما تكون هناك خلفية معينة لكلامها فهي شخص لا يقول كلاما إلا وله غاية دقيقة يرمي إليها، إنها امرأة ذكية ومتقنة لفن المناورة خاصة في تعاملها مع الرجال حيث قال زهير عنها:" تتداول الرجال مثل قطعة نقدية تحملها يد بائع إلى زبون عابر"، وطباعها الحذرة هاته جعلتها تعاني العديد من العقد النفسية المتراكبة حتى أن البطل نعتها بالمريضة النفسية فردت عليه:" أعترف.. أنا ما قلتُ لك، وزيادة على ذلك أنا مريضة نفسيا أيضا.. الماضي الذي عشته دفعني إلى عيادة الطبيب وأنا أتماثل للشفاء."، وأمكن أن نقول أن واحدة من العقد النفسية التي تعانيها سلاف هي عقدة "أوديب"، حيث أظهرت مقتها لأمها ودعت عليها مرارا في أجزاء من الرواية، كما اختارت طريق والدها وتركت ما تدعوها إليه إيميليا والدتها، وتعاني سلاف من

[2] – موقع عربي بوست – موقع youm-m (مقالات حول القامة الممشوقة)، الساعة: 20:59 يوم: 24.05.2024.

عقدة تجاه الرجال أو الرجل العربي خاصة حيث تستمر بالشك في كل ما يقوم به زهير وتعتقد ضمنيا أنه ينوي تجاهها شرا أو يريد أن يسرق شبابها وجمالها فقناعتها أن رجال العرب يعبثون ببنات الغرب مؤقتا ليعودوا لأوطانهم ويتزوجوا بنات بلادهم قناعة راسخة حيث قالت لزهير: "تأكلون شباب بنات الغرب، وعندما ترغبون في الاستقرار، تعودون إلى أوطانكم وتختارون بنات بلدانكم".[1]

2-3-البعد الاجتماعي:

سلاف امرأة أجنبية وهذا يمنحنا تصورا بعيدا عن جانبها الاجتماعي.. فهي تنتمي لمجتمع له تعامله المختلف مع المرأة، وهذا ينعكس بشكل أو بآخر على سلاف وتكوينها الشخصي فالمرأة في المجتمع الغربي لها قيود من نوع آخر، مختلفة عن تلك التي تقيد المرأة العربية، حيث أن العولمة الحديثة بفكرها الاستثماري ضد النساء، تؤثر على المرأة الغربية بشكل مضاعف وأكثر وضوحا وعملية، ما يجعل المرأة الغربية في حالة صراع دائم بين أنوثتها وما يفرضه عليها المستثمرون من أعمال شاقة، فغالبا يندر إيجاد امرأة غربية لا تعمل حتى على حساب جسدها، إذ يضطر عدد كبير من النساء إلى الكشف عن أجسادهن للحصول على المال ومواكبة عجلة الاستثمار، كما نجد منهن من تخوض في أعمال خاصة بالرجال فتثبت بذلك قدراتها وتفرض وجودها في حقل مغاير، وهنا نجد سلافًا قد فرضت نفسها في حقل المخابرات والهاكرز والأعمال الخاصة علمًا أنها تنتمي لأسرة عايشت عددا من الظروف الحياتية الصعبة حيث قالت : "أبي مات مقتولا مع تنظيم القاعدة، وقبل أن يموت، كنت أعيش معه.. انتقلتُ معه إلى أفغانستان.. أبي تخلى عن ثروته الطائلة، وتخلّى عن أمي أيضا من أجل الجهاد."، فقد تعد طبيعة الحياة الأسرية الفريدة التي نشأت فيها سلاف أحد دوافعها للجوء إلى هذا النوع من الأعمال الذي عادة ما يقوم به الرجال، فهو يتطلب الكثير السفر والتنقل، وعادة ما يعرض حياة الإنسان للخطر، والواضح أن عمل سلاف قد جعلها تعيش مستوى ماديا لا بأس به وقد أشار الكاتب إلى ذلك في الرواية فقال مثلا على لسان إيميليا

[1] -بنية الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق -البعد النفسي -، د ت، ص: 26،27.

والدة سلاف وهي تخاطب زهير وتحدثه عن ابنتها: " باحت لي بسرّ الأموال التي أرادت أن ترسلها إليك لتستثمرها في العتاد الطبي ورفضتها"، هذا بالنسبة لحاضر الرواية كونها تنفق على نفسها.

وفي غمرة عملها تتعامل سلاف مع فئة كبيرة من رجال الأعمال والهاكرز، وهذا بدوره يمنحنا فكرة عن شبكة علاقات سلاف.. فهي غريبة ومعقدة لقول الكاتب على لسان زهير: "رغم شبكة علاقات سلاف الغريبة والقوية مع أشخاص كثيرين، هذه الفتاة ليست سهلة ولا تتحرك بمفردها ولست متأكدا إن كنتُ قبل الالتقاء بها قد تعاملت معها هي وحدها أم أني كنتُ أتعامل مع أشخاص آخرين أو شخص واحد آخر يتكلم باسمها"، ونظرا لعلاقاتها المتعددة تكتسي شخصية سلاف نوعًا من التطور، بحيث يظهر الفرق الشاسع بين سلاف وغيرها من ناحية المهارات الحياتية والسرعة في إنجاز الاعمال، والقدرة الفائقة على الخروج من المحن والخبرة الواسعة في الحياة العملية.[1]

لقد أظهر الكاتب إلى جانب عمل سلاف اهتمامها الكبير بالتنظيمات وهي إن صح القول جزء من ماضيها لا من عملها، فهي عاشت مع امها بعد التحاق والدها بالقاعدة في أفغانستان حيث عودتها والدتها على زيارة محافل اليهود التي يحاربون فيها الإسلام، وهناك استخدموها للوصول للقاعدة التي التحق بها والدها والكشف على أسماء الأعضاء كونها كانت تجيد اختراق الحواسيب، وهذا بدوره يقودنا إلى الحديث عن ثقافة سلاف الهجينة، فهي التي تنتمي لأب أردني مسلم وأم أجنبية يهودية وقد غلبت عليها ثقافة والدها بعد أن كانت قد نشأت على أفكار والدتها في السابق هاته الأخيرة التي صارت بالنسبة لها شخصًا يستحق اللعنة من الله ورسوله، فسلاف صارت تمقت اليهودية وتتمنى أن تجاهد في سبيل الله وتخدم دينها..[1]

[1] – بنية الشخصية في رواية أرخبيل الذباب، د ت، ص: 37.

[1] – بنية الشخصية في رواية أرخبيل الذباب، د ت، ص: 38.

ثالثا: توسّط الذات المغتربة بين المعطى المادي والعوز العاطفي

الرواية تتناول عديد من الشخصيات المغتربة (الشخصيات الجزائرية والعربية المغتربة خارج الديار) ومن بين هذه الشخصيات شخصية أحمد، الذي تعرفنا عليه من خلال الشخصية البطلة (زهير)، من خلال لقاء جمع بينهما في مطعم شعبي نظمته سلاف حيث قالت:" عندما نعود بعد قليل ستلتقي أحمد، هو جزائري أيضا يعرف كل أوروبا الشرقية، زار معظم بلدانها، وأقام طويلا في بعضها".[2]

يسلط السارد الضوء على الجانب الحياتي لشخصية أحمد المغترب، فقد عاش في موسكو لمدة عشرة سنوات، توجه إليها بغية إتمام تكوينه. تخرج أحمد من أكاديمية موسكو العسكرية هو مهندس في الصناعات الحربية.[3]

لكنه لم يرجع إلى الوطن بعد إتمام تكوينه، بل رضخ لرغباته ونزواته فلم يتمكن من العودة إلى الديار لأنه وقع فريسة لثقافة المجتمع الروسي وحضارته المادية، "فقد قهرته الشقراوات"[4].

وما نلمحه أيضا في أحمد المغترب بعد أن شب ونضج بتقدم العمر أي قارب الخمسين نظر إلى ماضيه بحسرة وندم، فلم يجني من اغترابه إلا الوحشة والانكسار العاطفي. بدليل أنه يريد بعد هذه المسيرة العمرية العودة إلى الوطن.

حيث يريد أن يتزوج طبيبة، ويصحح مسار حياته ويتخذ قرارات منطقية سيما في وجوده بين أحضان وطنه، أدرك الآن قيمة ذلك فلقد استقر على قناعة العودة حيث يقول:" إن الوطن ليس مجرد اسم الوطن عنوان ثقيل يجب أن نتعب في حمله وإذا خف وزنه نقصت قيمته".[1] ومنها برزت قيمة الوطن وأنه لا يقدر بثمن ولا يوزن بميزان ولا يوجد أي معيار لوزن الوطن فقيمته تفوق كل شيء فحب الوطن والإحسان بالانتماء إليه مهما بعدت بنا المسافات هو شعور فطري ينمو ويكبر مع

---

[2] – الطاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، 2019، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج –الجزائر، ص: 14.

[3] – المصدر نفسه، ص: 16.

[4] – المصدر نفسه، ص: 16.

[1] – الطاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، 2019، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج –الجزائر، ص: 16

تقدمنا في العمر وأنه لا شيء يضاهي دفء الأرض التي خلقنا من ترابها وترعرعنا فيها مهما تنقلنا بين البلدان، فالوطن هو قطعة من الوجدان والروح تمنح الإنسان الأمان والطمأنينة وهو الذي يمثل الهوية التي لا يمكن التخلي عنها فليس أعذب من أرض الوطن إذ لا نقوى الابتعاد عنه، وكيف نبتعد وهو الحضن الدافئ والملجأ الذي لن نحس بالسكينة إلا فيه، فحبه مقرون بالأفعال، فيظهر قولا وفعلا، وذلك بما نقدمه من أجله من أمور تساهم في بنائه وتطويره وارتقائه فواجب الانسان نحو وطنه متمثل بالمحافظة عليه والاهتمام بمرافقه وموارده، والسعي بكل ما أوتي من علم ومهارة وقوة لتطويره وتحقيق نهضته، إذ أن علاقة المواطن بوطنه علاقة أخذ وعطاء، ويسهب أحمد في سرده عن علاقة الإنسان بوطنه فيقدم في ذلك صورة موضحة هي علاقة الفلاح بأرضه علاقة يومية وعلاقة احتكاك فهو أصلا يقدم لوطنه ويقدم لشعبه فيقول:" لذلك فأكثر الناس وطنية هم الفلاحون هم الذين يخدمون التراب ويسقونه بعرق جبينهم. ثم يطعمون الشعب بحصاد عرقهم.. ليس هناك من هو أكثر تعبا منهم في حمل الوطن". [2]

لكن أحمد لم يقدم شيئا لوطنه لأنه لم يكن يعيش فيه ولم يقدم لأبناء وطنه، حيث جنى في غير أرضه، ومن خلال هذه الصورة (علاقة الفلاح بأرضه) أراد أحمد القول إن الوطن هو الذي نبنيه نحن في علاقتنا به علاقة أخذ وعطاء (أي نقدم له أولا ثم يقدم لنا) حيث من المستحيل أن يعطينا الوطن الاستقرار والأمان ما دمنا لم نهتم به ونحافظ عليه ونساهم في تطويره ونضحي من أجله.

إذ يشير أحمد إلى العلاقة التي يجب أن تربط الشخص بوطنه وهي علاقة حب وتعاون وسلام وأمن، لأن الشعور بالوطنية يكون خارج ديار الوطن، فالغربة متعبة فمهما فعلت إلا أنك لن تحصل سوى على القليل من ثمرة تعبك واجتهادك ولن تحض بأي قيمة ولا أهمية ويظهر ذلك في قوله:" العيش تحت الظل والجد والكد في أرض تعطيها الكثير تعطيك القليل".[2] يرى أحمد أن التعاون الحقيقي يجب أن

[2] – المصدر نفسه، ص: 16.

[2] – الطاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 17.

يكون بالإخلاص للوطن الأم الذي ولدنا وترعرعنا وانتمينا إليه، فلا يمكن العثور على وطن في ديار الغربة، بل يبقى المغترب أو في بلاد الغربة غريبا لا يشعر بالدفء ولا الأمان، ويظهر ذلك في قوله:" أرضك في ذلك الوطن الذي تركته وكنت تكافح فيه من أجل لقمة الكرامة.. في نيقوسيا لا وطن لا أخ لا جار... سيقال لك اذهب إلى بلادك وأطلب حاجتك من إخوتك وأبناء عمومك لا واجب لنا عليك".[3]

فالوطن حسب أحمد هو ذلك المكان الذي نشأنا وترعرعنا فيه، بين أم وعم وأخ وجار. حيث أيقن أحمد بعد كل هذه المدة ومع تقدمه في السن أنه مهما تنقل بين البلدان يبقى غريبا ولن تمنحه هذه الأخيرة الشعور بالكرامة والاستقرار وأنه لا بديل عن الوطن.

رابعا: مقابلة الأسرة بين الفضاء الأصلي والفضاء المغترب إليه

تمهيد: لقد شغلت الأزمة الجزائرية بال كثير من النقاد والمبدعين، بعدما تسللت إلى يوميات الإنسان، فراحوا ينوعون في كتاباتهم، وكانت هذه الكتابات في أغلبها سياسة طمست الكثير من الخصوصيات، وهمشت أهم القضايا السائدة، لذلك نجد أن الرواية

[3] –المصدر نفسه، ص: 23.

قد اتخذت من هذا الواقع مادة لها، وراحت تحكي عنه وعن مشاغله سيما ما يتعلق بالوطن والإنسان. واستنطاق النوازع الإنسانية الكامنة داخل الذات الواحدة أو الذوات المختلفة.

لهذا استقر اختيارنا على رواية تسرد لنا تلك الهموم والمشاكل، وهي رواية " من يستأجر لي وطنا" للكاتب الجزائري الطاهر مرابعي، حيث جعلت من صورة الوطن موضوعا ثريا ومؤثرا، يتناول هموم الناس بقضايا المجتمع. ومن هذا المنطلق ارتأينا طرح الإشكالية التالية: كيف تمثلت صورة الوطن داخل الرواية؟

حضي الوطن باهتمام كبير من طرف الروائيين، واحتل مكانة بارزة في رواياتهم نظرا لقيمته العظيمة في القلوب وما يحمله من معان عميقة، إذ يعتبر منبع الأحاسيس الصادقة، فلكل فرد حق العيش وسط عائلة داخل مجتمع تكون له هوية، والتي تكمن في وطن يحويه ويعطي له اسما ومكانة بين الأوطان الأخرى، وهو ما دفعنا للبحث عن أشكال تمثل الوطن في الرواية محاولين البحث عن علاقة الشخصيات والأمكنة بالوطن.

الرواية تتناول جوانب عديدة خاصة الاجتماعية للشخصيات المغتربة (الشخصيات الجزائرية والعربية المغتربة خارج الديار) ومن هذه الشخصيات عمي صالح. أراد الروائي الجزائري الطاهر مرابعي أن يسلط الضوء على هذه الشخصية من جانب الأسرة ومكانة الأسرة والترابط الأسري، ومقارنة حال هاته الأسرة بالمجتمعات العربية الجزائرية تحديدا والمجتمعات الغربية.

يقدم لنا الروائي الطاهر مرابعي شخصيات أخرى من خلال الشخصية البطلة (زهير) وقد التقى زهير بعمي صالح الشيخ الكبير في السن العاطل عن العمل المريض الحزين في مقهى وقد دار بينهما الحوار التالي:

-عرب عرب يضحكون على!

نصمت ونحن ننظر إلى بعضنا..

– هل اندهشتما؟ من أي منطقة أنتما؟

– أنت تتكلم اللهجة الجزائرية! هل أنت جزائري أم عملت فيها مع الشركات الأوكرانية؟

نحن من منطقة الشرق.

– أنتما من قسنطينة أم جيجل أم سطيف.. أم بجاية؟

– نحن من سطيف.. هل تعرفها؟

– هل مازلتم تشربون ماء عين الفوارة؟

– ما زلت لم تعرفنا بنفسك.. عنا نحن فقد فتحنا لك باب عن الدار وأدخلناك!

– أنا من قسنطينة، أو كنت من قسنطينة.. تستطيعان مناداتي عمي الصالح..

يغرق عمي الصالح في حديث طويل عن مدينة قسنطينة التي غادرها منذ خمسين سنة ولم يعد إليها، ويذكر أسماء أصدقاء الطفولة فيها ويسأل إن كانوا مازالوا أحياء أم ماتوا![1]

غادر عمي صالح موطنه جسدا إلا أن روحه لا زالت عالقة فيه يستذكر جوانب من حياته بحنين وشوق عارم حيث يقول ويسرد: "تربيت في قسنطينة، تسلقت صخورها تسكعت في شوارعها، سرقت الفواكه في أسواقها. كان ذلك منذ أكثر من خمسين سنة، ولم يخطر ببالي أن أتركها دون عودة. بعد الاستقلال هاجرت إلى فرنسا مع من هاجر".[1]

(... تسترسل شخصية عمي صالح في استرجاع جوانب ومفاصل من حياتها وتنقلاتها في أوروبا مع تزويد مستمعه بخلاصة تجاربه في هاته الأوطان ومن ذلك حكمه المطلق على كل أنثى أي كان جنسيها، حيث يقول:

[1] – الطاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، 2019، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج –الجزائر، ص: 106.

[1] – الطاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 107.

" تزوجت بامرأة أوكرانية، وفي أوديسا قضيت كل حياتي، لكن النساء ملة واحدة، لا فرق بين عربية وفرنسية وأمريكية، بسبب خلاف بسيط قامت بطردي من المنزل، ولم تحترم عشرة السنوات التي كانت بيننا، حيث أحضرت الشرطة".[2]

يسلط الروائي الطاهر مرابعي من خلال شخصية عمي صالح الثانوية على العلاقات والروابط الزوجية والأسرية في المجتمع الغربي فهي هشة إلى حد ما، حيث تخلى عنه إضافة إلى زوجته أبناؤه الثلاثة، حيث يقول:

" لدي ثلاثة أبناء.. لا تسألني مرة أخرى، هنا تختلف التقاليد، الأبناء انصرفوا كل لوجهته، البنت الصغرى خرجت لحياتها الخاصة في سن الثامنة عشر، اما الولد فسافر مع صديقته إلى ألمانيا منذ سنوات ولا أعلم عنه شيئا، أما البنت الأخرى فلا معنى لوجودها بالنسبة لي.. الأبناء هنا ليسوا مثل الأبناء عند العرب، الأسرة أيضا شيء آخر.. ليس هذا خطئي".. [3]

ينضاف إلى ما توصل إليه عمي صالح وما تعلمه من خلال تجاربه الحياتية أن لا بديل للوطن، وبضرورة التمسك به ويتجلى ذلك بنبرة حسرة وندم وفعل توجيه ونصح لمن يستمع له ومن ورائهما الشباب الجزائري بقوله:" لو أن الحياة تعود إلى الوراء لكان لي تصرف آخر.. لكن فات الأوان، ولن أعود شابا كما كنت من قبل.. ارجعا إلى وطنكما".[4]

ومن هنا برزت قيمة الوطن والوطنية فالوطن هو ذلك الجزء الجغرافي من الأرض الذي تعيش عليه مجموعة من الأفراد، تتفاعل فيما بينها بعلاقات إنسانية، وعاطفية، وروحية، وثقافية، ومادية، وغيرها، وبشكل عام فإن معنى الوطن: هو تعبير عن الأرض التي ولد فيها الفرد، ونشأ، وترعرع، واختار أن يعيش فيها. وهذا الوطن جزء منا ونحن جزء منه وهو الحضن الذي نلجأ اليه وقت المحن، والوطنية شعار يميز المواطن المنتمي إلى وطنه من غير المنتمي، وهي درجة خالية من

[2] –المصدر نفسه، ص: 107.

[3] – المصدر نفسه، ص: 107، 108.

[4] – المصدر نفسه، ص: 108.

العشق يكرسه الفرد لوطنه، وعكسها الخيانة والخائن وهو الضعيف الوطنية، الذي يقيس حبه لوطنه بمقدار ما يستفيد من ذلك الوطن والوطنية عاطفة قوية يشعر بها المواطن تجاه وطنه، ولا تكون الوطنية بالقول، بل بالفعل، وأن صفة الوطنية أكثر عمقا من صفة المواطنة، وتصبح المصلحة العامة لديه أهم من المصلحة الخاصة، ولذلك فإن المواطنة هي الإطار الفكري، أما الوطنية فهي تمثل الجانب والإطار العملي لسلوك المواطن.[1] حيث يقول عمي صالح:

"تملك في الوطن وطنيتك، أنت هناك جزائري الدم"[2]

يتضح لنا من خلال مقولة عمي صالح تتطرقه إلى سمتين مهمتين، هما الوطن والوطنية فالوطن يسري في الإنسان مسرى الدم في العروق وهو أعمق بكثير من مسألة الوطنية، قد تمنح لك الجنسية لكن ليس من السهل أنُ يمنح لك الوطن لأن الوطن لا يباع ولا يشترى، وأن الانتماء كلمة تتعلق بالإحساس والمحبة والود الصادق، الذي يخرج من القلب ناحية أمر ما، والوطن هو أول شيء يشعر الإنسان بالانتماء إليه، وذلك لأنه يعني بيت الإنسان وراحته، مبعث شعور الإنسان بالحب وإخلاصه له دون تفكير.

إن الوطن دائما يكون أحن علينا ونشعر فيه بروح الانتماء، فلذلك على الآباء والأمهات أن يغرسوا حب الوطن داخل نفوس أبنائهم لتقوية روح الانتماء في قلوبهم، ويشجعهم أن يصبحوا أفرادا صالحين في المجتمع، ولأن من ينتمي إلى وطنه يتسم اتجاهه بالإخلاص والدفاع عنه[1]. ومن خلال التجربة التي عاشها عمي صالح استطاع إقناع زهير بالعودة الى أرض الوطن.

من خلال استقرائنا للرواية لاحظنا أن عمي صالح قد فقد شغفه للحياة وهذا ما أكده زهير في قوله:" لا يبالي بهذه الحياة التي فقد طعمها، يضحك وهو يقول لي..

[1] – حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، 1985، دار الثقافة، ط1، ص: 64

2–الطاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 113.

[1] – حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص: 65.

– يعتقد الناس بأني مجنون، فأينما أحل يخلون المكان لي للجلوس أو المرور ويبتعدون عني، ويتجنبون الاحتكاك بي بسبب ثيابي الرثة الممزقة وقلة النظافة، لو يعلمون ما في هذا القلب وهذا الرأس ما فعلوا ذلك!"[2]

وفي الأخير يمكننا القول إن عمي صالح هو ذك المغترب الوحيد الحزين الذي ظن أنه قد حاز وامتلك كل شيء فإذا به يفقد كل شيء عوض ما كان يمتلكه أصبح يمتلك فقط الحسرة والندم والشوق والحنين، الذي أرهق نفسيته وجسده حتى فارق الحياة، حيث أيقن عمي صالح أن رحيله قد اقترب في قوله:" لم يبق إلا القليل، صباح الغد كأقصى حد".[3] وهكذا فارق عمي صالح الحياة وهو في الغربة وفي قلبه حنين إلى الوطن رغم المرارة التي سببتها الهجرة عن وطنه، إلا أن الوطن يبقى كالوشم محفورا على الجلد، يمر جيل وثان وربما ثالث وصورة الوطن في خيال المغترب لا تذبل ولا تبهت من الذاكرة. وقد توقفت الحياة عند عمي صالح في التي غادر فيها ربوعه وكما ذكرنا سابقا أصبح جسدا بلا روح.

[2] – الطاهر مرابعي، من يستأجر لي وطنا، ص: 128

[3] –المصدر نفسه، ص: 128.

الخاتمة

خاتمة

أنهينا دراستنا الموسومة بـ البعد الاجتماعي في "رواية من يستأجر لي وطنا؟" للطاهر مرابعي وقد توصلنا إلى نتائج مهمة إلا أن أهمها:

– حضر البعد الاجتماعي بقوة في الرواية كونها رواية واقعية تتحدث أساسًا عن الواقع المعيش.

– تجلى البعد الاجتماعي في الحديث عن معاناة الشاب الجزائري مع الأوضاع المادية الصعبة من خلال الشخصية الرئيسية زهير الذي دفعته الظروف لمغادرة البلاد بحثا عن الاكتفاء الذاتي.

– استحضرت الرواية الأنثى في شخصية سلاف، وجعلتها تجسيدًا للاتصال والانفصال في الشخصية الروائية، من حيث الهجنة الدينية والثقافية، وكذا البعد الجغرافي.

– وضحت الرواية تأثير الغربة على الإنسان في شخصية أحمد الذي جنى من غربته انكسارا عاطفيا بدليل أنه يريد العودة للوطن وتصحيح مسيرته العمرية بين أحضان وطنه، وكذا في العم صالح الذي صور الكاتب من خلاله حاجة الإنسان للحضن الأسري، فهو ذلك المغترب الحزين الوحيد الذي بقي على تلك الحال حتى فارق الحياة.

هذه الدراسة ماهي إلا اضافة تضاف إلى لبنات صرح البحث العلمي المهتم بالرواية الجزائرية المعاصرة، غير أن الموضوع تحتاج إلى دراسات أعمق وأدق.

ثم وجب علينا كما علمنا ديننا الحنيف أن نشكر الله على تمام العمل ونسأله التوفيق والسداد..

الملاحق

سيرة الذاتية للروائي الجزائري الطاهر مرابعي:

كاتب وأديب جزائري معروف، من مواليد الشرق، في ولاية سطيف. خريج كليه الآداب بجامعة سطيف، أسهم في الأدب المعاصر من خلال عدد من الروايات والقصص. صدر له كتاب "خبايا غرفة التحرير" حول الصحافة المكتوبة، وثلاث روايات، وهي: "من يستأجر لي وطنا؟"، "خريف تيلة" وهي من أشهر أعماله نشرت في عام 2021، "حقول الملح ومزارع القمح". كتب مقالات في الجرائد اليومية والمجلات الإعلامية الثقافية الدورية، مرابعي يتميز بأسلوبه الأدبي الفريد الذي يجمع بين الواقعية والرمزية، ويعالج في كتاباته قضايا اجتماعية وثقافية متعددة، مما أكسبه شهرة وتقديرا واسعا في الأوساط الأدبية.

ملخص الرواية:

رواية "من يستأجر لي وطنا" للكاتب الجزائري الطاهر مرابعي التي صدرت عام 2019 في فترة التسعينات من القرن الماضي إلى نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، حيث تناولت معاناة المغترب الجزائري من خلال قصة بطلها "زهير" الذي عانا من ويلات العنف والارهاب والفساد، والبطالة، والظلم الاجتماعي، وهذا ما جعله يضطر إلى مغادرة وطنه بحثا عن الأمان والحياة الكريمة والبحث عن الهوية، حيث يواجه صعوبات في التأقلم مع الحياة في المنفى، ويشعر بالغربة والانفصال عن وطنه ويأخذه الحنين إليه، ويحلم بالعودة، لكنه يواجه العديد من العقبات التي لم تمنعه من تحقيق حلمه في العودة إلى أرض الوطن.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم برواية ورش عن نافع.

1-طاهر مرابعي، رواية من يستأجر لي وطنا، دار الخيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، الطبعة الأولى، 2019.

أولا: المصادر المكتوبة باللغة العربية.

1-انشراح الشال: المغترب ووسائل الاتصال، دار الفكر العربي، 1987.

2-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990، المجلد 13.

3-أحمد الربايعية، دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية، دار الثقافة والفنون، عمان، د.ت.

4-حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، 1985، دار الثقافة، ط1.

5-رشيد بوشعيرة، المرأة في أدب توفيق الحكيم، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996.

6-سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1، 2012.

7-عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

8-محمد ساري، الأدب والمجتمع، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د ت.

ثانيا: المعاجم والقواميس.

1-علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: الزمخشري، دار الكتب، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

2-محمد بن يعقوب ابادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1999.

ثانيا: المجلات

1-إيمان العامري، صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، جدلية المركز والهامش، ضمن مجلة البحوث والدارسات الإنسانية، جامعة سكيكدة، ع 10، 2015.

2-جوادي هنية، البعد السوسيوثقافي في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 18.

3-صالح مفقود، نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل، مجلة أبحاث في اللغة والأدب العربي.

4-عباسية بن سعيد، صورة المرأة في المجتمع الجزائري بين الموروث الديني والشعر الشعب دراسة سوسيو دينية، جملة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 18، العدد 02، 2022/06/05.

ثالثا: الملتقيات

1-شنان قويدر، البعد الاجتماعي في مدونة عبد الحميد بن هدوقة، الملتقى الوطني الأول حول: النقد الأدبي الجزائري، 21،22، ماي، 2006.

رابعا: المحاضرات

1-بنية الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق -البعد النفسي -، د ت.

2-بنية الشخصية في رواية أرخبيل الذباب، د ت.

3-سيميائية الشخصية في رواية الكافية والوشام لمحمد مفلاح، د ت.

4-محاضرات السيميائيات الدكتورة رزيق أمينة، د ت.

خامسا: المواقع الالكترونية

1-موقع عربي بوست -موقع quizzi any -موقع موضوع (مقالات حول ألوان العيون)، الساعة: 20:20 يوم: 23.05.2024.

2-موقع عربي بوست – موقع youm-m (مقالات حول القامة الممشوقة)، الساعة: 20:59 يوم: 24.05.2024.

3-alnafjan@gawab.com

فهرس المحتويات

الاهداء:

الشكر والعرفان:

مقدمة.....أ-ب

مدخل نظري:

حضور البعد الاجتماعي في الرواية الجزائرية

البعد الاجتماعي في الرواية الجزائرية..... **4**

الفصل الإجرائي:

تمظهرات البعد الاجتماعي في رواية" من يستأجر لي وطنا للطاهر مرابعي"

أولا: تيمة الهجرة والاغتراب من خلال الشخصية الرئيسية(زهير).....**12**

ثانيا: الحضور الأنثوي بين الفضائين الجغرافي والديني.....**29**

ثالثا: توسط الذات المغتربة بين المعطى المادي والعوز العاطفي.....**36**

رابعا: مقابلة الأسرة بين الفضاء الأصلي والفضاء المغترب إليه.....**39**

الخاتمة:.....**45**

الملاحق:.....**46**

سيرة الذاتية للروائي الجزائري الطاهر مرابعي:.....**47**

ملخص الرواية:.....**48**

قائمة المصادر والمراجع:.....**50**

فهرس المحتويات:.....**54**

ملخص بالعربية ومترجم:.....**56**

ملخص الدراسة

الملخص:

تهدف الواسة الموسومة بـ البعد الاجتماعي في يستأجر لي وطنا؟ للطاهر إلى الكشف عن حيثيات الواقع المعيش للمغترب الجزائري، من خلال تمثلات الشخصيات السردية البارزة (زهير، سلاف، أحمد، عمي صالح)،والنظر في تبعات وأثار الفضاء المغترب إليه عليهم. وقد توصلنا إلى نتائج مهمة إلا أن أهمها: تجلى البعد الاجتماعي في الحديث عن معاناة الشاب الجزائري مع الأوضاع المادية الصعبة من خلال الشخصية الرئيسيةزهير الذي دفعته الظروف لمغاورة البلاد بحثا عن الاكتفاء الذاتي.

الكلمات المفتاحية

الوطن – البعد الاجتماعي – شخصية الرواية

The Study, tagged "The Social Dimension", aims to rent a house for me? Al-Taher sought to reveal aspects of the living reality of the Algerian expatriate, through the representations of significant narrative characters (Zuhair, Sulaf, Ahmed, Ammi Saleh), and to consider the consequences and effects of the expatriate space on them, We have reached important results, but the most important of them is: The social dimension was evident in talking about the suffering of the Algerian young man with difficult financial conditions through the main character Zuhair, who pushed him conditions of leavingthe country in search of self-sufficiency.

Keywords

Homeland - Social dimension - Novel character